معاذ حسن

# حي الرمل في طرطوس

## حكاية النشأة والتكوّن

حتى منتصف سبعينيات القرن العشرين



# حي الرمل في طرطوس
## حكاية النشأة والتكون حتى
## منتصف سبعينيات القرن العشرين

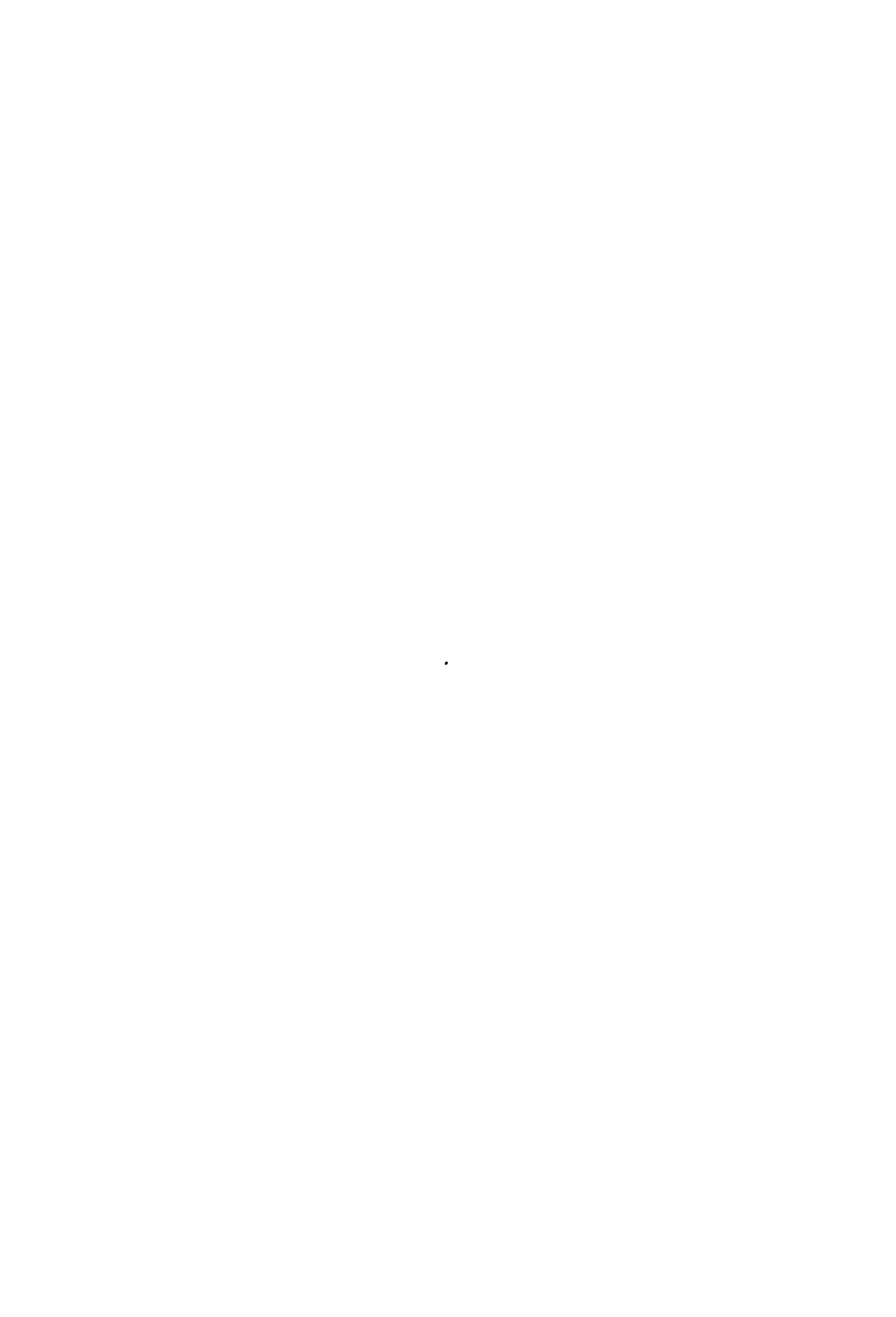
أرواد للطباعة والنشر
طرطوس . شارع طارق بن زياد، شرقي الزراعة القديمة
0945476915 -2225225

* معاذ حسن
* حي الرمل في طرطوس
* أرواد للطباعة والنشر
* الغلاف: أرواد
*الطبعة الأولى /2023

معاذ حسن

# حي الرمل في طرطوس

## حكاية النشأة والتكوّن
## حتى منتصف سبعينيات القرن الماضي



# الإهداء

إليها .... إليهن جميعا

ملاك أزرق بديع بقوام طويل ممشــوق ووجه أبيض جميل يرســم دوما ابتسـامة هادئة وعذبة. ما إن تبدو لي وأبدو لها، عن بعد وهي في طريقها من أو إلى المدرســة في الشـــارع الرئيســـي الوحيد في حي الرمل أواخر ســتينيات القرن العشــرين وأوائل الســبعينيات منه، حتى تتعانق عينانا ببعضـهما البعض برغبة جامحة يلونها خجل يزداد كلما اقتربنا من بعضـنا، وعندما نقترب أكثر لمســتوى التجاور يحمر وجهينا ويزداد خفقان القلب ويبدأ الارتباك على المحيا فتفترق العينان خجلا.

عنـدمـا لفتـت نظري كنـت أنا في المرحلـة الثـانوية وهي في المرحلـة الإعدادية ودوام متعاكس بحيث كان دوامي قبل الظهر وهي بعد الظهر في مدرستين واحدة للشباب وأخرى للبنات حسب تقليد ذلك الوقت، حيث كان الزي المدرسي لبنات الإعدادية "مريول" أزرقَ طويل.

خلال عـامين متتـاليين، أو ثلاثـة، لم نلتقي يومـا عن قرب أكثر ممـا أشرت.

هكذا كانت الأعراف المجتمعية تقول

ثم باعدت أكثر بيننا الأيام والسنين وتباعد الأمكنة، إلى أن عرفت ذات يوم، منذ سنين بعيدة، بخبر رحيلها الأبدي الباكر والمؤسف بعد تخرجها الجامعي وزواجها.

مع ذلك بقي وميض تلك اللحظات الخاطفة يوميا بما تختزله من مشاعر رهيفة وجميلة باقيا في ذاكرتي إلى اليوم ومرتبط جدا بمكانه الجميل والهادئ "شارع هنانو" الوحيد الذي كان يخترق حي الرمل من شماله إلى نهايته جنوبا حيث حدود الحي يومذاك، والذي كان أهم ما يميزه ندرة السيارات المارة فيه، فصار درب المشاوير المسائية الجميلة للشباب والصبايا في الحي خصوصا في فصل الصيف قبل أن يكتمل إحداث الكورنيش البحري في طرطوس. وقبل أن يتم إحداث "الشارع العريض" الحالي.

إلى ذكراها الجميلة وقد تذكرتها فجأة، بحميمية صادقة، عندما بدأت أفكر بكتابة صفحات خاصة عن شارع هنانو، شارع حي الرمل الرئيسي والوحيد آنذاك.

إليهن جميعا كل طالبات حي الرمل الصبايا في ذلك الوقت اللواتي كنّ يلوّن الشارع الرئيسي في حي الرمل وهنّ في طريقهن إلى المدرسة البعيدة عن الحي، أو أثناء عودتهن بشكل جماعي مشتت نسبيا بما يشبه موكب ملائكي سماوي جميل بلباسهن الأزرق البديع وحركات الغنج الجميلة

المادلة والمتزنة والتي كانت ترسم في عيون الشباب ومخيلتهم آنذاك آلاف الصور والحكايا المفترضة لمستقبل رومانسي بهيج.

---

إلى كل أصدقائي من أبناء جيلي وكل من عايشتهم وخبرتهم شبابا ورجالا وكهولا في حي الرمل، عندما كنت فتيا وشابا منذ عام 1967 وحتى نهاية عام 1973 مدة إقامتي وسكن أهلي في حي الرمل. حيث تفاعلت مع الجميع بمختلف ميولهم وبطيف أفكارهم الواسعة والمتعددة بما ساعدني على تبلور وتكوين شخصية جديدة شابة في الحياة متمردة على الثوابت اليقينية والتقليدية الجامدة، بآفاق ذهنية مفتوحة مستمرة حتى اليوم.

---

إلى روح الصديق الجميل، الفنان المسرحي (رضوان الجاموس) ابن حي الرمل منذ الولادة وحتى الممات، الذي التقيته في بداية الإعداد لهذا الكتاب أوائل صيف 2022 وأجريت معه شخصيا لقاء لم يكتمل على أمل أن ألتقي معه ثانية. لكن رحيله الأبدي كان سريعا دون أن يتسنى لي ذلك.

**معاذ حسن**

# المقدمة

عند الإعداد لكتابي السابق "الاندماج الاجتماعي والتحول المدني الحديث في الساحل السوري حتى منتصف القرن العشرين- طرطوس نموذجا"، لم يخطر ببالي كتابة فصل خاص عن حي الرمل في طرطوس، ربما لأن الحي لم يبدأ بالتشكل الفعلي قبل منتصف خمسينيات القرن العشرين، وفي أوائل الستينيات بدأت تتوضح فيه معالم الحي مع بداية اتصاله بالمدينة جغرافيا وتجاريا وخدميا من خلال "شارع هنانو" أولا، الذي ربط بينه وبين المدينة تجاريا وخدميا، وشبكة الكهرباء ثانيا، التي كانت تنتجها المدينة. أي بعد منتصف القرن العشرين بعقد من الزمن. فكتابي السابق، رغم ريادته في موضوعه فعلا، كما قال البعض عنه مشكورين، وإحاطته الواسعة نسبيا، إلا أنه كانت تشوبه بعض نواحي التقصير، كما أشار لذلك البعض الأخر مشكورين، من حيث إغفال تغطية بعض الأماكن، قرى وبلدات كان من الضروري التطرق إليها ولم أفعل رغم الاستطرادات الواسعة في الحديث عن أماكن وبلدات أخرى. وكنت قد أشرت لأسباب ذلك في مقدمتي. لذلك يمكن اعتبار كتابي هذا بمثابة فصل لاحق مستقل ومتمم لكتابي السابق بخصوص مدينة طرطوس تحديدا لأنه لا يمكن الحديث عن حي الرمل وتطوره بدون علاقته مع نمو وتطور مدينة "طرطوس" منذ منتصف القرن العشرين.

والحديث عن نشوء وتكون "حي الرمل" في طرطوس يغري الباحث الاجتماعي كأحد نماذج التوسع المديني الهامة في الساحل السوري منذ منتصف القرن العشرين كونه نشأ منذ البداية في مكان موحش وصعب بعيدا عن البلدة الصغيرة النامية "طرطوس" يومذاك، كتجمع سكني لمهاجرين ريفيين فقراء تركوا قراهم القريبة والمحيطة بطرطوس بحثا عن فرص عمل وحياة جديدة. ثم تغيرت معالم هذا المكان الموحش والصعب من خلال التطور المتبادل وبينه وبين المدينة حتى صار الحي جزءا هاما وكبيرا من المدينة عمرانيا وخدميا واقتصاديا. طبعا أنا لا أزعم ولا أدعي هنا أني باحثا اجتماعيا أبدا، وإنما كوني ابن مدينة طرطوس وعشت فيها منذ سنين فتوتي الأولى لسنوات في حي الرمل، بداية، ثم في أحياء أخرى من طرطوس، فأراني مشغول بهم الاهتمام

والكتابة عن هذه البيئة المجتمعية التي كونتني منذ يفاعتي الأولى، واهتمامي الخاص هذا بحي الرمل له علاقة كبيرة بذاكرة حميمية شخصية قديمة نسبيا منذ انتقلت وظيفة والدي من بلابلس إلى طرطوس عام 1967 حيث مكثنا فيه 6 ستة أعوام حتى عام 1973 كانت مدخلا لتعرفي على طرطوس ككل ومتابعتها في تطورها السكاني والعمراني بتداخل تام مع حي الرمل خصوصا أن نشوء وتكون حي الرمل كان مدخلا لنمو طرطوس العمراني لجهة جنوب شرق، وظهور أحياء جديدة كبيرة فيها كحيي الغمقة الغربية والشرقية وحي "وادي الشاطر" وحي "الرادار" لأنه كان من المتعذر أن تتوسع طرطوس عمرانيا من جهة الشمال بعد "حي البرانية" كون حدوده الشمالية تقع بتماس مباشر من المدخل الرئيسي لمرفأ طرطوس وحوضه الواسع وساحاته الكبيرة"[1]. لذلك كان التوسع العمراني لطرطوس يكون جنوبا كما أشرت، ثم شرقا حيث صارت تظهر منذ منتصف السبعينيات أحياء جديدة وعديدة.

أما لماذا سقفت الفترة الزمنية لكتابي هذا بمنتصف سبعينيات القرن العشرين فذلك يعود، كما أفترض هنا، لكون التطور والنمو العمراني والمجتمعي الطبيعي كما بدأ في الحي بكل ما يحمله من قيم شخصية - مجتمعية أخلاقية وثقافية جديدة كانت تتكون فيه بفعل الاندماج المجتمعي الجديد الناتج عن نزوح أبناء الريف الجبلي المحيط بطرطوس بحثا عن عمل مقرونا بالبحث عن آفاق حياتية مجتمعية جديدة، قد توقف منذ منتصف سبعينيات القرن العشرين عندما بدأ النمو السكاني والتكاثر العمراني في الحي يزدحم بشكل كبير على حساب كل التوزع الجغرافي الجميل والسابق حيث بدأ التآكل التدريجي والسريع لكل البساتين والنواعير والمساحات الواسعة التي كانت تشغل حيزا كبيرا من مساحة الحي كما سنرى في صفحات الكتاب، لصالح تكاثر سكني أقرب للعشوائي منه للمنظم، بدون تصور عمراني أخر يوائم بين تكاثر الأبنية وترك المساحات بينها، وكان ذلك التطور العمراني يتم ليس كتلبية لحاجة داخلية في الحي بقدر ما كان بتأثير موجات النزوح والهجرة الكبيرة من لبنان، طرابلس، مع بدايات الحرب الأهلية اللبنانية 1975بداية، ومن ثم

---

[1]-: منذ بدايات الألفية الحالية بدأ التوسع العمراني في طرطوس لجهة شمال شرق بعيدا عن مدخل المرفأ، وبشكل خفيف نسبيا.

لاحقا من بعض المحافظات السورية الأخرى، أيضا لأسباب وغايات أخرى متعددة فصار تطور ولمو الحي يأخذ شكلا مختلفا بكل المستويات بحكم التفاعل بين كل موجات النزوح هذه من جهة وبينها وبين أهالي الحي الأوائل من جهة ثانية، ومع مدينة طرطوس ككل من جهة ثالثة، وما ينتج عنه من ثقافة وعادات أخلاقية ومجتمعية هجينة مختلفة كليا عما سبق بدأت تتوضح منذ منتصف ثمانينات القرن العشرين، بحيث أن أغلب من ولد وعاش وكوّن شخصيته في الحي قبل هذا التاريخ، من أبناء الأجيال الشابة في الستينيات والسبعينيات، وأنا واحد منهم، بدأ يشعر بالاغتراب المجتمعي الحقيقي في هذا الحي. ربما لأن البعض الكثير من موجات الهجرة والتفاعل هذه جاءت هروبا من مكان ضاقت فيه شروط الحياة الأمنة والصحيحة وهي تحمل معها نمط من العادات والتفكير والقيم مختلف تماما، إلى متسع أكثر رحابة يأوي لكن لا تتوفر فيه مقومات فرص العمل الكبير المنتج للجميع فصار التنافس المزدحم في مجال الأعمال الفردية التجارية الصغيرة والخدمية ومن ثم في الوظائف الحكومية هو ما يقرر ويفرز ثقافة وقيم أبناء الحي.

لذلك أردت من كتابي هذا أن يكون توثيقا لبدايات هذا الحي بعناوين كبيرة مع بعض التفاصيل طيلة عقدين ونصف من الزمن لعل الأجيال الجديدة في الحي تتعرف على تلك البدايات لا لكي تعود إليها، أبدا، فهذا يتناقض مع سيرورة الزمن وتطوره، وإنما للتعرف بما يفيدها كدرس مهم في وعي مجتمعي مغاير سليم متجدد دوما لها.

كما أردت أن يكون شهادة "فردية – جمعية" لي ولبعض أبناء الحي سواء المخضرمين الأوائل منهم، أو من أبناء جيلي أو الجيل اللاحق، فلونت الكثير من سطوره بلغة الهوى والحنين لمرحلة تم القطع معها بدون أن تنهي مخاضها وتنبت أزهارها الجميلة بألوانها المتعددة.

--------

كما في كتابي السابق، قمت في سياق الإعداد لهذا الكتاب بزيارات ولقاءات شخصية مع بعض الشخصيات القديمة في حي الرمل وما زالت تملك ذاكرة غنية جميلة وهادئة، أطال الله في عمرهم بكل الصحة والسلامة، وسجلت ما سمعته منهم جميعا، علما أني أيضا تمنيت لو التقي

بعدد أكبر من الأشخاص، وحاولت لكن منهم من اعتذر ومنهم من لم يرد عليّ، ومنهم من وعد ثم تأخر وتناسى.

لذلك سوف أبدأ كتابي بمدخل يتضمن إشارة سريعة مختصرة، طبوغرافية – جغرافية، لتوضيح حدوده الجغرافية التي تميز موقعه بالنسبة لمدينة طرطوس وأحياءها الأخرى، كما لتوضيح طبيعة سطح الأرض فيه طبوغرافيا قبل السكن فيه، كما روى لي ذلك أغلب الذين التقيتهم.

ثم أسهب بالحديث قليلا عن بدايات السكن فيه وأوائل العائلات التي سكنته نتيجة الهجرة من الريف المجاور هربا من الفقر الشديد وقلة المردود من العمل في الأرض يومذاك بحثا عن فرص عمل جديدة، ثم كيف بدأت تتشكل الحارات في الحي بتأثير تزايد عدد القادمين من الريف إليه، خصوصا بعد تكون ملامح الشارع الرئيسي الذي بدأت تنتظم البيوت حوله فصار بذلك أول شارع رئيسي يخترقه من الشمال حتى نهايته آنذاك في الجنوب والذي صار امتدادا لشارع هنانو الذي يبدأ من مدينة طرطوس قرب حدود منطقة الصالحية في المدينة ويتجه جنوبا حتى منطقة "المسيل – بوظة جعارة حاليا" في نقطة يبدأ فيها امتداد شارع هنانو باتجاه حي الرمل إلى الجنوب.

ثم أنشر كل شهادات الأشخاص الذين التقيت بهم بالتفصيل والذين لولاهم لما استطعت إنجاز هذا الكتاب وهنا أود تسجيل شكري وتقديري لكل من التقيت معهم وستتعرفون عليهم في متن الكتاب لكني أخص بالذكر ابن حي الرمل الوفي والصديق الجميل (يونس مصلح) الذي رافقني بحماس شديد منذ عرضت عليه فكرة الكتاب وكان دليلي لبعض الأشخاص حتى أنه ألحَ أكثر من مرة على بعض الأشخاص الذين تمنعوا ولم يتجابوا أبدا، ربما يكون لهم عذرهم.

كما أود تسجيل شكري وامتناني للصديق العزيز الأستاذ (محمد رحال) عضو مجلس مدينة طرطوس الأسبق وابن حي الرمل منذ بداياته، الذي أجريت معه لقاءات متكررة بحيث استفدت كثيرا منه ومن ذاكرته الغنية. ومن حديثي معه ومن معلوماته استطعت رسم مخطط ولو متواضع لكتابي هذا.

كما أشكر ابن حي الرمل الغربي الأستاذ (محمد كامل عليان) المدرس السابق لمادة الأدب العربي في العديد من مدارس طرطوس الذي استجاب لي في جلســـة خاصـــة طويلة حدثني فيها من ذاكرته الغنية الكثير عن بدايات نشوء حي الرمل الغربي الذي يسكنه حتى اليوم..

كما أتمنى أن يكون هذا الكتاب الصغير بحجمه كبيرا بصدق معلوماته وحافزا لمزيد من الأبحاث والدراسات عن هذا الحي وعن طرطوس ككل بل وعن كل الأمكنة في سورية.

معاذ حسن

# القسم الأول
# النشأة والتكوّن

## مداخل قصيرة

### مدخل طبوغرافي جغرافي

ربما يكون من المفيد جدا عند محاولة التعرف على أي مكان حديث التكوّن عمرانيا وبشريا أن نبدأ بالتعرف على طبيعة سطح الأرض طبوغرافيا، وحدوده الطبيعية وطبيعته المناخية جغرافيا، لما لذلك من عامل مهم سواء كعامل جذب للسكن، من جهة، وكقياس لمقدرة الطبيعة البشرية في محاولة التغلب على الصعوبات الطبيعية الجغرافية والمناخية الموجودة فيه عند الاستقرار والسكن من جهة ثانية..

على هذا الأساس يمكن القول أن حدود حي الرمل كانت وما تزال تبدأ شمالا من منطقة المسيل حيث توجد اليوم "مطبعة الزهراء"، و"بوظة جعارة"، و"مشفى الحكمة"، و"مطعم مشوار"، وتنتهي جنوبا بتماس مع طول شارع وحديقة الطلائع من الشرق عند شارع الثورة، إلى الغرب قرب الكورنيش البحري، أما ما بعد شارع الطلائع باتجاه الجنوب فتبدأ حدود "حي الغمقة" الذي بدأ بالتشكل لاحقا أواخر ستينيات القرن العشرين. لذلك يحد حي الرمل من الشرق شارع الثورة ومن الغرب الكورنيش البحري.

كانت طبيعة سطح الأرض التي بنيت عليها بيوت ومساكن حي الرمل بحدوده هذه، البعيدة نسبيا عن قلب مدينة طرطوس الصغيرة يومذاك، قبل أن تبدأ عمليات السكن فيه، رملية تكثر عليها الكثبان العالية والمنخفضات الواطئة، وكانت تكثر فيها، بحكم قربها من البحر ورطوبته، أعشاب كثيفة ونباتات شوكية طويلة متعددة وبعض حقول أعواد قصب بحري عالية، كلها مخيفة لأنه كان يتواجد بداخلها العديد من الحشرات والزواحف المؤذية السامة والخطيرة كالأفاعي وغيرها، كما كانت مخبأ للعديد من الحيوانات البرية المتوحشة كالضباع، كما أخبرني بذلك العديد من

الأشخاص الذين التقيتهم ممن عاصروا تلك الفترة وسأنشر شهاداتهم بالتفصيل في صفحات تالية. كما كان قسم كبير آخر من أراضي سطح حي الرمل، خصوصا في ملتصفها الشرقي يومذاك، يتألف من بساتين أشجار مثمرة ونواعير خضرة وكروم تين، لأنه كانت تتوفر المياه بوفرة تحت سطح أرض الحي بعمق قصير جدا فيستخرجونها بواسطة حفر آبار، وكلها كانت مستثمرة ومملوكة لأشخاص من مدينة طرطوس.
وربما كان هذا أحد العوامل التي سهلت للمهاجرين الريفيين السكن في هذه الأراضي الصعبة والمخيفة، لكن القريبة من النواعير والبساتين لأنها تتيح لهم أول ما تتيح فرص العمل كمزارعين فيها وهو شغلهم بالأساس في قراهم.

نستنتج من هذا التوضيح أن إمكانية السكن في هذا المكان الرملي الفسيح كانت متاحة لخلوه عموما من السكان رغم قسوة طبيعة سطحه الخارجية وخشونتها المنفرة، لكن بالمقابل كان ثمة عوامل جذب أخرى وهو وجود البساتين والنواعير في مساحات كبيرة في جانبه الشرقي غير المتاخم للبحر مباشرة، فهي تؤمن مجالات عديدة للعمل الزراعي فيها. كما أن وقوعه على خط شط البحر في جانبه الغربي كان أيضا بمثابة عامل جذب للسكن، فمنظر البحر بحركته الدائمة وامتداده الواسع كأفق لانهائي كان يغري سكان الريف الجبلي المتاخم، بوديانه وجباله التي تغلق العالم على سكانه بحدوده هذه في ذلك الوقت قبل دخول أي مستوى من تقنيات الحداثة في المواصلات والتلاقي، كما كان حال الريف الجبلي المتاخم لطرطوس من جهة الشرق وجنوب شرق الذي تنعدم فيه السهول الواسعة والكبيرة فترسم حدود تضاريسه الوديان والجبال العالية بدون أفق واسع وكبير إلا المطلة منها بسفوح جبالها ومرتفعاتها الغربية على البحر بشكل مباشر لكن غالبا ما تكون هذه السفوح المطلة بعيدة نسبيا لجهة الشرق، طبعا باستثناء سهل عكار من جهة الجنوب والغرب الغني بأرضه الخصبة والمفتوح مع سهل عكار اللبناني.

### ملكية الأراضي في حي الرمل قبل البناء عليها

أما عن ملكية الأراضي التي قامت عليها المساكن فكانت، كما أخبرني عضو مجلس مدينة طرطوس الأسبق وابن حي الرمل الأستاذ (محمد

رحال) تعود حسب التالي: الشريط الساحلي المحاذي لشاطئ البحر، غربي الجامع وحتى المبنى السابق لفرع الحزب جنوبا فكانت ملكيته تعود للمطرانية المارونية لم يتم شراءه إلا بعد فترة طويلة وإنما تمت حالة وضع يد عليه، أما بقية الأراضي شرقي الشريط الساحلي من منطقة الجامع لجهة الشرق حتى منطقة "اللحودية" فكانت ملكيتها تعود ل "بيت الضيعة". فالأرض عموما في منطقة حي الجامع، كانت ملكية للمطرانية المارونية من جهة وللعائلة المسيحية الأرثوذكسية "بيت الضيعة" من جهة ثانية حتى أن الأرض التي بني عليها المبنى السابق لفرع الحزب وتوابعه الخلفية من جهة الشرق ما تزال ملكيتها تعود للبطريركية المارونية ولم يحسم أمر استملاكها النهائي بعد.

وذكر لي الأستاذ محمد رحال أن المطران الماروني (بندلي) قصده في منزله يوما ما، عندما كان ممثل الحزب الشيوعي في مجلس المدينة من أجل أن يتوسط الحزب الشيوعي مع قيادة البلد أيام الرئيس (حافظ الأسد) لحل مشكلة الأرض وشراءها لنقل ملكيتها، وفعلا تجاوب السيد الرئيس يومذاك مع الموضوع و شكلت لجنة لهذه الغاية لكن لم يتم الاتفاق على سعر مبيع الأرض وتوفي المطران (بندلي) وبموته مات أيضا الموضوع.

أما المنطقة الواقعة غربي "الشارع العريض الحالي" الممتدة بين مدرسة "الحمداني" حاليا حتى ثانوية "غياث أحمد سابقا – رجب صالح حاليا" كانت منطقة رملية كثيفة أي عبارة عن "تعوس رمول" لا يوجد فيها أي سكن ولم تكن بستان مثمر يملكه أحد. فمنطقة البساتين المثمرة القريبة على البحر تبدأ من هذا المكان أي "ثانوية غياث أحمد" باتجاه الجنوب حتى نهر الغمقة وشرقا حتى شارع الثورة الحالي وكانت ملكية أغلبها تعود ."للحاج محمد أحمد زين– أبو زكريا" الذي كان جد رئيس مجلس المدينة الأسبق (محمود حاج فتوح) لجهة والدته، حيث كان يتم زرعها بخضار مختلفة وتوجد فيها أشجار البرتقال والليمون، أما الخط البحري غرب هذه البساتين الذي يمر بمقبرة الرمل القديمة حتى نهر الغمقة فلم يكن ملكا لأحد.

أما من الثكنة العسكرية باتجاه الجنوب فكان يوجد "كرم التين" ثم الملعب الواسع الذي كانت الثكنة تستخدمه أيضا كمركز تدريب عسكري

ثم تبدأ منطقة سـكن عشـوائي تنتهي عند حدود بسـاتين تعود ملكيتها ل "العبد ديب" والتي تقع حدودها بين شـارع الثورة الحالي شـرقا من نقطة محل "فروج أبو علي" القديم ومكتب "بولمان الأهلية" وحتى شـارع بن بركة - دوار عزالدين" الحالي جنوبا وحتى حدود "الشـارع العريض" قرب "مستوصف الرمل" الحالي غربا أي أن منطقة بساتين "العبد ديب هذه التي كانت حدودها الشـمالية الشـرقية تقع عند مقر سـكنه يومذاك، كانت بالإجمال تقع شـرقي منطقة البسـاتين الغربية للحاج "زين". الذي كانت بسـاتينه تحيط بها غربا وجنوبا وشـرقا. ثم تحولت أراضـي هذه البساتين مع مرور الوقت إلى مناطق سكنية بعد أن تم فرزها إلى عقارات سكنية وفق مخطط تنظيمي من قبل ملاكها المذكورين.

ثم أخذت هذه المنطقة الواسـعة من الكتلة شـمالا وحتى نهر الغمقة جنوبا تتوسع عمرانيا وتنتظم وفق مخطط سكني بإشراف البلدية.

## بدايات تشكل الحي

### حكاية أقدم التجمعات السكنية المنظمة في حي الرمل

يبدو أن اقدم تجمع سكني منظم في حي الرمل، كما تبين لي من خلال العديد من اللقاءات التي أجريتها، هو سـكن بعض من عائلات طرطوس في حي الساحة الذين تم عزلهم عام 1948 في مكان بعيد عن طرطوس بسبب إصابتهم، أو اشـتبه بإصـابتهم بمرض "السـل" المعدي بعد أن بنت لهم البلدية يومذاك مسـاكن نموذجية خاصـة لهم، وهو نفس التجمع الموجود حتى اليوم كجزء من النسيج السكاني والعمراني لحي الرمل والذي يقع بشكل ملاصق للمبنى السابق لفرع حزب البعث القديم على الكورنيش، لجهة جنوب شـرق حيث كان هذا الموقع يعتبر بعيدا نسـبيا بشـكل كاف عن مدينة طرطوس بما يؤمن لسـكانها الحماية والوقاية التامة من انتشـار العدوى بشـكل كبير فيها، كما يشـكل كمكان خال من السـكن وقريب من البحر مناخا مناسـبا للتعافي من المرض، فاسـتمر سـكان هذا التجمع بأجيالهم التالية في بيوتهم حتى اليوم متفاعلين في حياتهم اليومية مع سكان وأهالي حي الرمل، كما في تفاعلهم مع طرطوس القديمة ومع المدينة ككل.

وقد روى لي السـيد (وسـيم طالب) مواليد 1985، وهو أحد أبناء الجيل الثالث في إحدى العائلات التي سـكنت هذا التجمع ضـمن حي الرمل حكاية إحداث هذا الحي، كما رواها له جده ووالده، مبينا أن هذه العائلات لم تكن

مصـــابة بأي مرض معدي لكن مكان ســكنهم الســابق في حي الســاحة ضـــمن طرطوس القديمة كان قديما ومغلقا ورطبا جدا لا تدخله نور الشـــمس بما يكفي وينقصـــه التهوية المســتمرة، فبدأت تظهر فيه حالات ســعال مســتمر وبعض أعراض أمراض معدية بســبب ضــيق المكان وعدم توفر الشــروط الصــحية اللازمة فيه، خصوصــا لدى العائلات التي كانت بيوتها تقع ضمن فسحة المكان الأثري المتبقي لكنيســة الفرســان الباقية من العهد الصــليبي في طرطوس القديمة مما يهدد الســاكنين فيه أكثر من غيرهم بإصــابتهم بالأمراض المعدية، كالسل، الأمر الذي جعل البلدية في طرطوس يومذاك تفكر بتخفيف الازدحام باختيار عدد من العائلات ونقلها خارج هذا المكان الذي لا تتوفر فيه شــروط الســكن الصـــحي اللائق، وكــان الاختيار يتم على مبدأ تخفيف التجاور بين العائلات المتجاورة جدا بســكنها المتلاصـــق بحيث تبقى فســحة تهوية بين البيوت يدخل منها أيضا نور الشمس، فاتفق على الإبقاء على عائلة ونقل عائلة تكون مجاورة ثم الإبقاء على التي تجاورها ثم نقل التي تليها وهكذا من أجل تخفيف الاكتظاظ الســكاني داخل المكان، فتم نتيجة ذلك، بالصــدفة، اختيار 5 عائلات تم نقلها هي التالية:

بيت طالب، بيت مرجانة، بيت تتبوك، بيت يحي، بيت ســـويد. وأســـكنتهم البلدية في منازل لمونجية جميلة جدا بنتها خصــيصـــا لهم مبنية بالحجر الرملي مفتوحة على التهوية والشمس تتألف من 3 غرف وصالون وبراندا وبعد سنتين تم نقل عائلتين أخريين بناء على طلبهما هما بعد زيارتهما للحي وإعجابهما بالمكان وبالمســاكن، وهما بيت يحي و بيت عاشــور، بعد أن ابتنت البلدية لهما منزلين إضافيين لكن بمساحة أصغر، غرفتين وصالون.

ثم يتابع ويقول أن الأرض التي بنت عليها البلدية هذه المســـــاكن تم تثبيت ملكيتها عقاريا لصـــــالح الطائفة المارونية عام 1989 رغم وجود أوراق رســـمية معنا من قبل بلدية طرطوس تثبت أن البلدية بنت هذه المســاكن لنا خصــيصــا مقابل مبلغ تسدده العائلات المستفيدة على أقساط للبلدية على مدى 10 سنوات كثمن لهذه المســاكن ثم تقوم بعد ذلك بتثبيت الملكية لصــــالح ســـاكنيها في الدوائر العقارية، لكن عدم قدرة أهالي الحي آنذاك على دفع الأقســـاط قرر رئيس البلدية آنذاك إعفاء هذه العائلات من دفع ما تبقى من ثمن بناء هذه المســاكن لأنها بالأصــل عائلات مســكينة وفقيرة وتم نقلها لأســـباب وقائية صـــحية، مع التأكيد على التزام البلدية بتثبيت ملكية هذه العائلات للأرض التي بنيت عليها مســاكنها، لكن الذي حصـــل أن البلدية لم تقم بتثبيت ملكية هذه العائلات للبيوت حتى اليوم.

ورغم كوننا أبا عن جد من أهالي مدينة طرطوس فلا يوجد معنا أية ثبوتية تضـــمن حقنا بملكية أرض أو بيت منذ تم هدم بيوتنا القديمة في طرطوس القديمة ونقلنا إلى هذا المكان.

ثم يتابع السيد وسيم قائلا: ونحن ما زلنا نسكن في بيوت هي لنا نظريا لكن لا يوجد في أيدينا أية ثبوتية عقارية تثبت ذلك إلى أن فوجئنا عام 1989 بطلب الكنيســة المارونية عن طريق القضــاء بحقها بالأرض لأن الأرض هي تابعة للوقف المسيحي الماروني وربما كانت منذ بدايات عهد الإنتداب الفرنســي مكانا مخصــصــا لمقبرة خاصــة بالجنود الفرنســيين وعائلاتهم.

وفي إطار الحلول المقترحة لمعالجة وضـــعنا بعد مطالبة الكنيســـة المارونية بحقها بالأرض من خلال القضـــاء والقانون علمنا أن الكنيســـة المارونية طلبت من البلدية إعطاءها قطعة أرض ضـــمن طرطوس لتبني هي عليه مســاكن خاصــة لنا بدلا عن مســاكننا الحالية، لكن البلدية ترفض بحجة أن القضـــاء وحده كفيل بحل الخلاف حول ملكية الأرض وحقنا بالبقاء أم لا. ثم تقديم اقتراحات أخرى منها منح تعويض مالي لكل عائلة، لكن تبين لنا أن هذا التعويض قليلا جدا قياسا على غلاء أسعار العقارات المستمر في طرطوس، ولا يؤمن لأي عائلة إمكانية شراء مسكنا جديدا مهما كان متواضـــعا علما أن الأرض التي تقع عليها بيوتنا الحالية التي نسكنها تعتبر من النسق التجاري السياحي الأول في المدينة بسبب قربها المباشـــر من البحر وأســعارها كبيرة جدا وبارتفاع مســتمر. ثم تم تقديم خيارا أخر يتضـمن شـراء قطعة أرض خارج المدينة في ريف طرطوس القريب، منطقة الشـيخ سـعد العقارية أو دوير الشـيخ سـعد مثلا، ويتم بناء بيوتا لنا فيها كبديل عن بيوتنا الحالية، لكن معظم الأهالي رفضـــوا هذا العرض لأنهم بالأصـل من قلب طرطوس ولا يمكنهم السـكن خارجها في مكان أخر بعيد عنها. وثمة فكرة اقتراح جديد أخر علمنا أنه تم تداوله منذ فترة لدى أوســاط الكنيســة ومراجعها العليا لكنه لم يثمر عن نتيجة على الأرض حتى الأن وهو اقتطاع مســاحة من نفس الأرض التي توجد فيها بيوتنا الحالية وإقامة بناء برجي متعدد الطوابق عليها لإســكان نفس العائلات فيها.

وحتى اليوم الحالة معلقة قانونيا بين أخذ ورد. والأرض صــارت تضــيق بســاكنيها وبعدد الأبنية فيها لأن أجيال جديدة تولد في الحي وتطالب بحقها في

المسكن المستقل ولا يوجد أية وثيقة تثبت حق الملكية ومنح الترخيص اللازم للبناء فيها. علما أن عائلتين فقط استطاعتا تثبيت حق الملكية في البيت والأرض في نفس المكان لدى الدوائر العقارية قبل عام 1989 بمساعدة إدارة مديرية الزراعة آنذاك لأنهما احتجا على بناء مديرية الزراعة بواجهتهما ومداخلهما الغربية مباشرة يومذاك فتم مراضاتهما بتثبيت حق الملكية لهما. عندما تم بناء مديرية الزراعة غربي نفس المكان.

## مؤشرات على بدايات السكن في حي الرمل من قبل النازحين الريفيين وعوامل الجذب

في لقاء وحيد وقصير مع أحد أبناء الجيل الثاني في حي الرمل، أصل عائلته "بيت الشيخ" من قرية "هرجين"، وهو الأستاذ (يوسف علي سليمان) بتاريخ 8 / 6 / 2022 أفادني بمعلومة قصيرة ومختصرة، لكنها تبدو لي مهمة جدا، حيث أشار إلى أن أولى العائلات المعروفة التي سكنت حي الرمل بطرطوس كـ"بيت الضابط" و "بيت زريق" و "بيت الشيخ" جاءت من قريتي "هرجين" و "المطاهرية" القريبتين نسبيا، بسبب الفقر الشديد والبحث عن عمل يكون مصدر عيش دائم لهم، فبدأوا عملهم في طرطوس كـ "عمال نافعة"(2) في ورش تنفيذ وتعبيد الطرقات التي كانت تنفذها سلطات الإنتداب الفرنسي آنذاك، أو عمال زراعة عند بعض كبار الملاكين في طرطوس. لذلك يمكننا الاستنتاج من هذه المعلومة أن البدايات الأولى للنزوح الريفي إلى طرطوس من أجل العمل ربما تكون قد بدأت في أوائل الأربعينيات من القرن العشرين أيام الإنتداب الفرنسي على سورية، عندما وجد الباحثون الريفيون عن عمل خارج قراهم الفقيرة ضالتهم الأولى بداية في مجالين: أولهما ورش تعبيد وتزفيت الطرقات التي شقتها السلطات الفرنسية في ذلك الوقت. وثانيهما العمل الزراعي عند بعض كبار ملاكي الأراضي في طرطوس حيث كانت تنتشر العديد من البساتين والنواعير الزراعية في محيط طرطوس القديمة وبعضها كان يوجد لجهة الجنوب من طرطوس بشكل يحاذي من جهة الشرق امتداد الأراضي الرملية

---

2 ـ: "عمال نافعة" مصطلح قديم نسبيا يقصد به الإشارة إلى العمال الذين يعملون في ورشات تنفيذ وتعبيد الطرقات منذ العقد الثالث من القرن العشرين، وربما يكون مصدر كلمة نافعة هنا كما أفترض هو النفع العام. لأن شق وتعبيد الطرقات منذ بداياته هو عمل يعود بالنفع العام للجميع.

الواسعة التي صارت فيما بعد حي الرمل كما سنتعرف عليها في الصفحات التالية من خلال الشهادات التي حصلت عليها.

## حي الجامع

بالقرب من التجمع السكني المنظم للعائلات التي تم نقلها من حي الساحة في طرطوس القديمة، كما أشرت سابقا، لجهة الشمال الشرقي كانت تظهر في نفس الفترة أو قبلها قليلا بعض البيوت المحاذية لشاطئ البحر والتي كان يبنيها نازحون ريفيون جدد فصارت تتكاثر هذه البيوت بدءا من المكان المجاور ل "مشفى الحكمة حاليا" وعلى نفس خط "مطعم مشوار" المعروف، وتنتشر باتجاه الجنوب حتى المنطقة المحيطة غربا وشرقا بمقر "جامع الإمام علي بن أبي طالب" الحالي فصارت تسمى هذه البيوت بعد بناء الجامع "حي الجامع". لذلك يعتبر هذا الحي برأي أغلب الذين التقيتهم انه أقدم حي سكني في حي الرمل الكبير. وفي الشهادات الموجودة في القسم الثاني من هذا الكتاب سوف نتعرف بمزيد من التفاصيل بالاسم لأقدم العائلات التي بنت في هذا الحي وسكنته ومنها ما تزال بيوتها قائمة حتى اليوم بشكل متراصف على الخط الموازي على الكورنيش البحري لجهة الشرق ويمكن التعرف عليها من شكلها القديم وبنائها الطابقي الواحد فقط.

## عوامل جذب النازحين الريفيين للسكن، وتشكل الحارات، في حي الرمل

وربما يكون الحال الذي جذب هؤلاء المهاجرين الريفيين الأوائل للسكن في هذا المكان، حي الجامع الحالي، بداية كونه الموقع الأقرب لمدينة طرطوس التي لا يفصلهم عنها سوى مدرسة "اللاييك "من جهة الشمال، وقربه أيضا من موقع "الثكنة العسكرية" لجهة الشرق، بحيث يصير موقع هذا الحي هو الفاصل بين شاطئ البحر غربا والثكنة العسكرية شرقا، خصوصا أن وجود الثكنة بعناصرها وآلياتها المنتشرة حولها يومذاك كان يتيح التفكير بمبادرات عمل عديدة حرفية وتجارية لأبناء الحي الصغير هذا. خصوصا أن محيط الثكنة يكون أكثر أمانا للسكن في هذا الخلاء الرملي الواسع والموحش، ولأنه كان مفتوحا في البداية بدون جدران عالية من جميع الجهات، كما أخبرني أغلب من التقيتهم، لدرجة أن منطقة أرض الجامع الحالي في الحي ومحيطها شرقا كانت تقف فيها دبابات وآليات عسكرية. لذلك فقد توسع البناء في محيط الثكنة العسكرية لاحقا خصوصا بعد أن رسمت الثكنة حدود حرمها

الخاص بها ببناء جدران عالية تفصلها عن المحيط الخارجي تاركة الكثير من أمتار الأرض من حرمها السابق للمدنيين. فبدأ توسع البناء خارج أسوار الثكنة في البداية جنوبا وغربا حتى تكون بداية خط تجمع سكني جديد سمي **"حي الرمل الأوسط"** الذي يمتد من حدود الثكنة العسكرية شمالا ومبنى "المجمع الاستهلاكي الحالي" غربا حتى "المسيل" المفتوح على البحر ويمتد طولا حتى حدود النواعير التي كانت موجودة يومذاك جنوبا. وأيضا سوف يتم ذكر أوائل وأقدم العائلات التي سكنت هذا الحي في القسم الثاني من الكتاب حسب إفادة أصحاب الذاكرة ممن التقيت بهم. وكان يحد "الرمل الأوسط" شرقا منطقة خلاء واسعة يوجد فيها "كرم تين" يستثمره شخص من "بيت الكرتاوي". وكانت هذه المنطقة الخلاء ملعبا لكرة القدم لشباب الحي ومركزا لتدريب عساكر الثكنة. ثم صار في مكانها خلال حقبة السبعينيات مبنى الدوائر "العقارية القديمة" و"مدرسة المتنبي" التي صارت مقرا "للجيش الشعبي" وفي قلب منطقة الخلاء هذه تم اقتطاع قطعة أرض لتجهيزها "ملجأ أرضي للأهالي" في حالة الحرب، فأدى تزايد السكن مع مرور الأيام حوالي الملجأ إلى تسمية المكان **"حارة الملجأ"** في الرمل. ومن الحدود الجنوبية لهذه المنطقة كانت تقع وتتجاور عدة بساتين ونواعير تمتد حتى نهر الغمقة جنوبا الأمر الذي جذب لاحقا مزيدا من النازحين الريفيين للسكن والتوسع في حي الرمل على امتداده الكبير جنوبا، بين هذه النواعير وحولها للعمل فيها والاستفادة من مواسمها.

نعود إلى خط البناء والسكن الغربي الملاصق لشاطئ البحر فإنه بعد صف مساكن النازحين الريفيين الأقدم غربي "حارة الجامع"، التي يليها جنوبا التجمع السكني الخاص بالمبعدين من طرطوس القديمة بسبب إصابتهم بمرض "السل" آنذاك، والتي أشرت إليهما بداية، كانت تبدأ منطقة كبيرة كمساحة شاسعة مليئة بالتلال الرملية يكثر فيها القصب البحري وعشبة تسمى "دبدوب"، لدرجة إذا مشيت المسافة بين تلة وتلة فلن ترى شيئا خلف التلة التي وصلت إلي أولها ولن يراك أحد وكان بإمكان الواقف على أعلى إحدى التلال أن يرى بعيدا حتى نهر الغمقة وأبعد، وكان يتوسط هذه المساحة منخفض أرضي رملي هو بمثابة مسيل مائي يتجه من الشرق إلى الغرب تتجمع فيه مياه الشتاء الغزيرة من

الأراضـــي الأعلى ارتفاعا عند فندق "كليو باترة" الحالي على شـــارع الثورة وتصب في البحر.

وإلى الجنوب من هذا المسيل بدءا من أرض ثانوية "غياث أحمد سابقا – رجب صالح حاليا " تبدأ حدود حارة سكنية قديمة في حي الرمل تسمى **"حي الرمل الغربي"** التي ســوف يتم، أيضـــا، ذكر أقدم العائلات التي سكنتها في القسم الثاني من الكتاب حسب شهادة أحد أهم وأقدم من سكنها حتى اليوم، وهو الأســـتاذ (كامل عليان). أما حدود حي الرمل الغربي كانت ومازال تبدأ من حديقة الطلائع الحالية جنوبا وحتى "المسيل" شمال ثانوية (غياث أحمد، ســابقا، رجب صــالح، حاليا) شـمالا، ومن الشـارع العريض الحـالي شـــرقـا حتى الكورنيش البحري غربـا. وكـانـت ملكيـة اراضـــي الحي قبل البناء عليها تعود ملكيتها لبيت ضـــيعة كما قال لي الأســـتاذ (كامل) الذي أخبرني مؤكدا أن والده اشـــترى أرض البيت من (جبرائيل ضـيعة). وكان يوجد شـرقي هذا الحي "ناعورة" تمتد مساحتها من مدرســـة "رجب صـــالح" الحالية" شـــمالا حتى حديقة الطلائع جنوبا وكانت تعود ملكيتها الأخيرة للحج (محمود الريس) الذي كان اشـــتراها بدوره من (رياض عبد الرزاق)، وبالتالي فإن جنوب هذه الناعورة كان أراضي جرداء ونواعير وبساتين أشجار مثمرة وليمون حتى نهر الغمقة. وكـانـت ملكيـة هـذه النواعير لجهـة الغرب تعود ملكيتهـا ل (جبرائيـل الضـــيعة) أما جنوبها لجهة الجنوب قرب نهر الغمقة فكانت تعود ملكية الأراضي لأخرين منهم "بيت منصور".

طبعا في صـــفحات قادمة ســوف يتم الحديث بتفصــيل أكبر عن هذه الأحياء في بداياتها الأولى جميعا ضمن شـهادات الذاكرة الشـخصـية التي سجلتها في لقاءات خاصة، كما ذكرت سابقا، مع أشخاص ولدوا وعاشوا فيها طويلا. لكن لا بد من الإشـــارة هنا إلى أن تزايد أعداد ســـكان حي الرمل الكبير بدأ يتكاثر بنسب كبيرة منذ عام 1960 مع بداية إنشاء مرفأ طرطوس، وأغلب القادمين إلى الحي بداية كانوا من أصـــل ريفي فقير معدم من القرى المجاورة والقريبة من طرطوس، وربما يكون العمل في إنشـــاء مرفأ طرطوس كان عاملا جانبا ومحفزا أكثر لهجرة أبناء الريف إلى طرطوس والسكن في بعض أحياءها لا سيما الحي الجديد الناشئ فيها يومذاك "حي الرمل". فهذه النقلة النوعية الكبيرة في طرطوس تعطينا فكرة واضحة جدا عن الدور الإيجابي الذي يلعبه بناء مرافق أو بنى تحتية

متينة لتنمية اقتصادية صحيحة للبلد في استنهاض قوى عاملة جديدة كانت في لحظة ما على حافة البؤس والبطالة والعدم من جهة، وعلى دور الهجرة من الريف إلى المدينة لدواعي العمل في مرافقها هذه، في اكتمال معالم المدينة عبر تحديثها وتطويرها عمرانيا وخدميا واجتماعيا وثقافيا.

وعلى هذه الخلفية من الفهم أود أن أستعرض ببعض التفصيل حكاية إنشاء مرفأ طرطوس الذي أدى إلى تكثيف الهجرة الريفية إلى حي الرمل في طرطوس منذ أوائل ستينيات القرن العشرين.

**قصة إنشاء مرفأ طرطوس كما رواها لي الأستاذ (محمد رئيف هيكل)**

وحول إنشـــاء "مرفأ طرطوس" ربما يكون من المفيد ذكر المطومة الطريفة التالية التي رواها لي الباحث في الآثار والمهتم بتاريخ طرطوس قديما وحديثا الأســتاذ (محمد رئيف هيكل) حول قصـــة إنشـــاء مرفأ طرطوس، والتي لا تخلو من دلالة هامة.

روى لي الأستاذ (محمد رئيف هيكل) في لقاء خاص معه بتاريخ 18 / 7 / 2022 الحادثة التالية التي كان شاهدا عليها:

فقد حدث أن نائب رئيس الجمهورية في عهد الوحدة الســورية - المصرية (حسين الشافعي) مرّ في طرطوس في بداية الستينيات في أحد أيام الجمع عام 1960 وقام بتأدية "صلاة الجمعة في جامع الساحة برفقة المفتي وبعض وجهاء المدينة، وبعد انتهاء الصلاة يقوم أحد المصلين من أبناء طرطوس وهو السيد (حسين أبو النصر) بجمع عدد من المصلين، الفتيان خصـــوصـــا، في الســاحة أمام مدخل الجامع وهم يرددون العبارة التالية لحظة خروج (الشافعي) ومرافقيه من الجامع: "مكتوب على سيوفنا أهلا وسهلا بضيوفنا .. مكتوب على رماحنا نفدي (حسين) بأرواحنا ... و يا حسـين و يا حسـين بدنا المرفأ. بدنا المرفأ. وبدنا كلمة يا حسـين.. بدنا كلمة يا حسين".

وعلى الفور يقف حسين الشـافعي على الكرسـي عند بياع قهوة (قدور خليل) ويرتجل كلمة يقول فيها: في هذا اليوم عصـرا سأسافر إلى دمشق وبعد يومين أي يوم الأحد سأسافر إلى القاهرة، مصر، ويوم الإثنين عندي لقاء مع الرئيس (جمال عبد الناصـــر) وســـوف أنقل له طلباتكم هذه بكل أمانة. وقد صـــدق في وعده هذا لأنه بعد خمســـة أيام فقط أي في يوم الأربعاء يصدر مرسوم إنشاء "مرفأ طرطوس".

ثم يتابع الأســـتاذ (هيكل) قائلا من ذكرياته عندما كان طالبا يتقدم لامتحانات الشهادة الثانوية أنه في أول يوم من "فحص البكالوريا" في عام 1960 تبدأ شـــركة بوغســلافية العمل في إنشـــاء المرفأ حيث بدأت الشاحنات الضخمة المحملة بالصخور تمر بالقرب من "قهوة حجوز" أو "قهوة التنك" كما كانوا يسـمونها، لتلقي حمولتها على الشـاطئ لتأسـيس المكسر الجنوبي للمرفأ.

وهكذا يكون عامل بسيط (حسين أبو الدصر) يعمل في حرفة الخياطة وراء المطالبة الفاعلة بإنشاء "مرفأ طرطوس"، لكنه بحركته الناجحة هذه مستثمرا فيها مرور نائب رئيس الجمهورية في عهد الوحدة في طرطوس وتأديته صـــلاة الجمعة، إنما كان يعبر عن رغبة جميع ســكان طرطوس آنذاك في إنشاء المرفأ الذي تم تدشينه عام 1969.

## اكتمال معالم الحي

لا تكتمل معالم أي حي كحي الرمل في نشـــأته الأولى، بمعنى تحوله، بتدرج، من مجرد تجمع ســكني عشــوائي مؤقت بعيدا نســبيا عن المدينة ومركزها، إلى حي مديني مســـتقر منظم متداخل مع المدينة، إلا بوجود الحد الأدنى من بعض مرافق البنى التحتية التي تلبي حاجات المتطلبات اليومية للسكان فيه، كما تؤهله لتوثيق علاقته بالمدينة اقتصاديا – تجاريا، واجتماعيا - ثقافيا. ولعل أهمها:

1-: وجود شــارع رئيســي متصــل بأحد شــوارع المدينة يتيح ســهولة التنقل داخل الحي وخارجه، كما تتفرع عنه داخل الحي عدة شـــوارع فرعية صـــغيرة تنتظم حولها وعلى طرفيها جميعا عملية الســـكن وبناء البيوت اللاحقة،

2-: تواجد محلات تجارية في الحي، ســمانة خصــوصــا في البداية، تتوزع في الشـــارع الرئيس وتفرعاته، تليها بعد ذلك محلات تجارية لأغراض وحاجات متنوعة.

3-: توفر مخبز أو عدة مخابز حسب انتشار الحي وتوزع السكان فيه لتأمين مادة الخبز اليومي للسكان. ونذكر هنا أن تأمين مادة الخبز للسكان في البدايات الأولى للســـكن في حي الرمل كان يتم عن طريق تجهيز

"تنانير" ريفية كتقليد نقله معهم النازحون الريفيون الأوائل من قراهم حيث كانوا يعيشـــون وقد ذكر لي أكثر من شـــخص أن أحد التنانير كان موجودا على الأرض التي بني عليها "جامع الإمام علي بن أبي طالب" الحالي، وثمة تنور أخر كان موجودا بعيدا عنه قليلا لجهة الجنوب خلف مقر البناء السابق لفرع الحزب.

4-: ثم تكتمل عملية تجهيز البنية التحتية للحي بوجود المدرســـة الرسمية لأبناء الحي مع تكاثر عدد السكان فيه.

5-: ولعل الأهم في كل ذلك إمكانية وجود فرص عمل داخل الحي أو خارجه، لتأمين واردات للحياة اليومية للأهالي.

لذلك سوف أحاول بإيجاز استعراض ما تم إنجازه من هذه المعالم في حي الرمل في بداياته الأولى.

**شارع هنانو:**

يمكن القول مســتنتجا من الشــهادات في اللقاءات التي أجريتها أن حي الرمل منذ بدايات الســـكن فيه كان يوجد فيه طريقان ترابيان متقابلان مع مسافة تفصل بينهما، يتجهان من الشمال إلى الجنوب وعلى ما يبدو أنهما كانا يتمددان طولا مع تمدد السكن على نفس الاتجاه وحاجة الناس للتنقل.

أولهما لجهة الغرب يبدأ شـــمالا من زاوية "مشـــفى الحكمة" الحالي بحيث كان ينتهي في البداية جنوبا في أخر حي الجامع عند التجمع السكني الخاص بعزل مرضى السل آنذاك لأنه لم يكن يوجد بناء متصل بعد هذه النقطة حيث التلال الرملية بنباتاتها البرية الطويلة والمخيفة والتي يمر بمنتصفها تقريبا "مسيل مائي شتوي" كما أشرت سابقا. وهو نفس الطريق الذي تحول في منتصـــف ســبعينيات القرن العشــرين بعد ازدحام المنطقة بالبناء والسكن إلى "الشارع العريض".

ثانيهما ويقع شــرقي الطريق الأول ويبدأ شــمالا من "المســيل المائي الشـــتوي" الأخر الذي كان يحد بلدة طرطوس جنوبا، قبل تكوّن حي الرمل، وينتهي قرب البحر جنوب مدرسة اللاييك، كامتداد باتجاه الجنوب لشــــارع هنانو في طرطوس وكان هذا الطريق الترابي بداية أوســـع من نظيره الغربي وكان يمتد طولا مخترقا البيوت التي كانت تتواجد وتبنى على طرفيه باستمرار بحكم كون سطح الأرض في الجانب الشرقي لحي

الرمل الكبير كان أكثر جاذبية للسكن ربما لثلاثة أسباب رئيسة هي التالي كما أفترض:

أولا -: بسـبب مروره بتماس مباشـر مع الحدود الغربية للثكنة العسكرية.

ثانيا -: بسـبب متانة التربة وخصـوبتها قياسـا على الجزء الغربي الرملي المتحرك والقريب من البحر.

ثالثا -: بسبب وجود الكثير من النواعير والبساتين فيه آنذاك.

لذلك امتد هذا الطريق الترابي الواسع ووصل إلى نهايته عند الحدود الشمالية لمستوصف حي الرمل الحالي، حيث كانت تقف في وجه تمدده وجود بساتين ونواعير مستثمرة لم يكن قد تم البناء على أرضها يومذاك، وهي مسافة طولية ليست بالقليلة، لدرجة صارت البيوت تنتظم حوله على طرفيه بانتظام وتتوسع شرقا وغربا بحيث صارت تشكل مع الزمن حارات صغيرة متعددة داخل الحي. فعلى هذا الأساس كان شارع هنانو في حي الرمل مع جميع تفرعاته الصغيرة هو ما أعطى لبيوت ومساكن الرمل، العشـوائية في البداية، **قوام الحي وطابعه العمراني منذ مطلع الستينيات** عندما بدأ النشاط العمراني في الرمل يتزايد بحكم كثافة الهجرة من الريف المجاور.

على ما تقدم يمكن القول أن شارع هنانو في حي الرمل هو الشـارع الرئيس الأقدم في الحي وهو الذي ربط الحي اقتصـاديا واجتماعيا وعمرانيا وثقافيا بمدينة طرطوس بحكم كونه امتدادا لشـارع هنانو الرئيسي الذي كان يخترق مدينة طرطوس من الشمال، منطقة الصالحية، إلى الجنوب حيث كانت نهايته في البداية عند الجسر غربي عيادة الدكتور (حسن الحسن) وشرقي مطعم مشوار بحوالي 100 متر ومن هذه النقطة المتقاطعة مع تفريعة الشارع الذي ينتهي إلى البحر عند مشوار يبدأ امتداد شـارع هنانو في حي الرمل باتجاه الجنوب حتى نهاية السـكن في منطقة الرمل الأوسط حيث اصطدم امتداد هذا الشـارع بمنطقة البسـاتين آنذاك التي صـار فيها فيما بعد بيوت سكن ومستوصف حي الرمل، كما ذكرت آنفا.

وقد تأخر تزفيت هذا الشارع حتى أوائل الستينيات كما أخبرني أغلب أبناء الحي الذين التقيتهم، فالأسـتاذ (محمد رحال) أفادني أنه قد تم تزفيته

على مراحل بحيث أن أول مرحلة كانت المسـافة الممتدة فيه من فرن "بيت الموعي" شـمالا وحتى بيت (علي يونس معلى) و "بيت حمصـية" جنوبا عام 1963، أي عند الزاوية الشـمالية الغربية لجدار الثكنة العسكرية، ثم تتابع تزفيت الشارع بعد ذلك.

لذلك يمكن اعتبار هذا الشـارع هو الناظم أو الرابط لحي الرمل وحاراته قبل وجود الشـارع العريض، فمنه نشـأت عدة تفريعات غربا وشرقا نظمت العمران المتواتر فيه ورسمت للسكن فيه شكل الحي الكبير حتى أوائل السـبعينيات، ومن نهايته في النقطة التي ذكرناها توجد تفريعة تبدأ شـرقا من شـارع الثورة وتنتهي غربا على كورنيش البحر بحيث تمر في وسـط حي الرمل الغربي، لكنها تتقاطع في المنتصـف مع الشـارع العريض الذي تم تعبيده منتصـف القرن العشـرين مخترقا حي الرمل من حي الجامع شـمالا حتى حي الغمقة جنوبا، بحيث صـار يلعب منذ إنشـائه وتعبيده دور الناظم أو الرابط الجديد لمسـاكن وعمارات وحارات حي الرمل بالكامل.

**مصـادر العيش في البداية وأوائل المحلات التجارية والأفران في حي الرمل:**

كما أفادني أكثر ممن التقيتهم وبشـكل خاص الأسـتاذ (محمد رحال) فإنه باسـتثناء ثلاثة نواعير زراعية تعود ملكية اثنتان منها لبيت الحاج (محمد أحمد زين – أبو زكريا) من طرطوس وناعورة واحدة ربما تعود ملكيتها لبيت الضيعة لكونها كانت موجودة ضمن الأراضي التي يملكونها آنذاك، وكان يوجد ناعورة تعود ملكيتها لبيت (العبد ديب) وهي عبارة عن بستان ليمون وبعض أشجار التين.

لذلك فمصـدر العيش لسـكان الحي الأوائل كان يعتمد بداية على العمل في هذه النواعير كأيدي عاملة زراعية، ثم مع تزايد النزوح والبناء في الحي نشـأت الحاجة لأيدي عاملة في مجال البناء وحفر الأسـاسـات لأبنية الوافدون الجدد إلى الحي فكان من الطبيعي أن يتعلم بعض شـباب ورجال الحي هذه المهن بالإضـافة لحفر الآبار الارتوازية ضـمن حوش كل بيت، وكان البعض يتخصـص بجانب واحد فقط من هذه المهن، حفر أسـاسـات، بناء الحجر والصـب، حفر آبار.

أما التجارة ضمن الحي فكانت في البداية شبه معدومة وكانت تعتمد على التسوق من سوق المدينة. وكان يتم تأمين الخضار من البساتين والنواعير ضمن مجال الحي الناشئ أما بقية المواد كالسكر والرز والملح وما شابه فكان يتم تأمينها من سوق المشبكة. لكن في وقت لاحق بدأت المحلات التجارية الخاصة بالحي تتواجد وتتكاثر، حيث سيتم ذكر أقدمها بالتفصيل في القسم الثاني من الكتاب.

أما بخصوص الأفران، فأول فرن في الحي من الجهة الشمالية للحي مع بداية "شارع هنانو" كان "فرن الموعي" ثم يأتي بعده جنوب التكنة "فرن الدرسنلي" اللذان كانا يغطيان احتياجات حي الجامع بالكامل حتى التكنة.

أما عن بقية الأفران في الجهة الوسطى والغربية من الحي فقد تواجدت فيها مبكرا عدة أفران هي التالية "فرن أبو رعد" وفرن "بيت مصلح" وفرن "بيت العصفوري" وفرن "بيت غالية" وفرن "جميل صقور"، وكان الخبز الذي تنتجه هذه الأفران عموما هو الخبز الكبير المشروح. أيضا سوف يمر الحديث بشيء من التفصيل عن هذه الأفران في القسم الثاني من الكتاب.

أما على صعيد الوظائف الحكومية فلم يكن يوجد دوائر حكومية في كل طرطوس إلا مبنى السرايا القديم حيث كان يعمل فيها الشيخ (محمود رمضان) "كاتب" والشيخ (علي رمضان) و (أبو جابر) من حمين وأخيه (محمد عبد الرحيم) "أبو غياث". وهؤلاء هم كانوا أوائل الموظفين في دوائر حكومية من حي الرمل.

و أشهر من أمتهن بعض الحرف المفيدة في الحي نذكر "بيت مصلح" و "بيت الشلوف" الذين امتهنوا مهنة الحدادة واشتهروا بها كثيرا.

وثمة حرفة أخرى كانت جديدة جدا في الحي هي حرفة تمديد وإصلاح شبكة الكهرباء فحتى قبل دخول شبكة الكهرباء إلى حي الرمل اشتهر بإتقانه هذه المهنة شخص من الحي يدعى (أبو علي شدود) فكان أغلب أهالي الحي يعتمدون عليه في موضوع الكهرباء عند دخول الشبكة إلى الحي.

## تأمين مصادر مياه وشبكة الكهرباء

كان أهالي الحي يحفرون بئرا ارتوازيا مع كل بيت يتم بناؤه من أجل تأمين مصدر مياه لحاجة أفراد الأسرة، وكان هناك عمال في الحي تخصصوا بهذا العمل حيث كانوا يحفرون حتى عمق 12 متر حتى تظهر المياه قوية بغزاره وكان عملهم هذا مليء بالمخاطر لكون التربة رملية ومهددة بالانهدام في أية لحظة، وعند الانتهاء من حفر البئر يتم تعمير جدرانه بحجر رملي ثم توضع مضخة "طرنبة" لرفع المياه عند الحاجة، طبعا كان يتم إحكام إغلاق سقف البئر.

وبدءا من عام 1965 بدأ مشروع تمديد شبكة مياه نظامية للحي من قبل البلدية عبر الشارع الرئيسي الذي أكملت البلدية تزفيته بعد ذلك باتجاه الجنوب. ومصدر المياه كان بئر الحاووز الكبير على مرتفع يقع شرق شمال مدينة طرطوس يسمى اليوم "حي الحاووز"، ثم فيما بعد ذلك تم حفر آبار في قرية جديتة وبدأت تغذية المدينة منها بالكامل بمياه الشرب. ثم تمت تغذية الحي بالكهرباء من معمل توليد الكهرباء القديم الموجود في مكان وبناء مؤسسة الكهرباء الحالية.

## الواقع الطبي الصحي في الحي

ربما يكون تاريخ إحداث أول مستوصف طبي صحي في حي الرمل أوائل سبعينيات القرن العشرين وكان بإشراف الدكتور (عادل الأسعد) كما أفادني بذلك أختي الممرضة المتقاعدة السيدة (نجوى أحمد حسن) وهي واحدة من أقدم الممرضات اللواتي عملن فيه منذ بداية تأسيسه حين تم استئجار منزل سكني متعدد الغرف وتجهيزه بالأدوات والمواد الطبية اللازمة لمستوصف، وذلك قبل تنفيذ مشروع بناء خاص للمستوصف فيما بعد.

في لقاء خاص مع الدكتور (عدنان رمضان) بتاريخ 7 / 6 / 2023 أفادني بأن أول طبيب سكن حي الرمل كان هو الدكتور عدنان رمضان عام 1975، لذلك فإن أول عيادة طبية افتتحت في الحي عام 1977 هي أيضا عيادة الدكتور (عدنان رمضان) نفسه. وأن أول صيدلية افتتحت في الحي هي صيدلية "الرازي" للصيدلي (محمد طوفان) عام 1980 وأقدم مستودع طبي في الحي لصاحبه الصيدلي (ياسر غانم). ثم تتالى فتح

عيادات الأطباء فكانت ثاني عيادة للدكتور الطبيب (علي حسن) أصله من قرية "بحلين" ومن ثم عيادة للدكتور الطبيب (ناصر عبد الهادي) أصله من قرية "بيت الحج".

وبالمناسبة فإن الدكتور (عدنان رمضان) هو نموذج للسوري الذي تعلم وتدرج في نيل شهاداته في أكثر من محافظة سورية متنقلا مع أسرته حسب تنقلات والده الذي كان شرطيا في قوى الأمن الداخلي، لذلك فقد اغتنت الأخلاق المهنية لديه كطبيب من طيف سوري متعدد وجميل. فهو من مواليد قرية "بمحصر" التابعة لناحية "دوير رسلان" في جرد الدريكيش عام 1948 درس بداية في قريته ثم تابع دراسته في اللاذقية عندما انتقل الوالد في وظيفته إليها عام 1957 وبقي فيها حتى عام 1960 عندما انتقل مع أسرته إلى محافظة "ادلب" التي أكمل فيها تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي عندما حصل على شهادة البكالوريا فيها عام 1967 نفس العام الذي تمت فيه المباشرة بالتدريس في كلية الطب بجامعة حلب فانتسب إلى كلية الطب ودرس الطب فيها حتى تخرج منها طبيبا عام 1973 مع أول دفعة خريجين من الجامعة. وفي نفس العام انتقل للسكن الدائم في طرطوس ملتحقا بأسرته التي كانت انتقلت إليها منذ عام 1970.

أوائل عام 1974 التحق بالمستشفى الوطني القديم بطرطوس كطبيب مقيم، ثم تزوج عام 1975 وسكن في حي الرمل الأوسط قرب "الملجأ" حيث فتح عام 1977 أول عيادة طبية في الحي، ثم نال اختصاص جراحة عامة من مستشفى المجتهد بدمشق عام 1980، وكان في اختصاصه هذا خدوما لجميع أبناء الحي ولكل من يراجع عيادته من كافة أحياء طرطوس الأخرى.

## نخب دينية اجتماعية في الحي

مجتمع حي الرمل هو منذ البداية مجتمع مهاجرين بحثا عن العمل في ظروف حياة جديدة كما أسلفت بمعنى أنه ليس قديما ومستقرا بل كان في الفترة الزمنية التي أعالجها في كتابي هذا قيد التكوّن والاستقرار كمجتمع، ولم تتوضح فيه بعد قوى وعلاقات عمل اقتصادية منتجة واضحة وقوية، فالعلاقات الاقتصادية القوية والمستقرة نسبيا، سواء على الصعيد الإنتاجي

أم الخدمي الاستهلاكي في أي تجمع أو مجتمع بشري مع تمركز الملكيات وتفاوتها بين السكان، هي ما يفرز في النهاية مع مرور الزمن شخصيات المجتمع القوية والنافذة. وبما أنه لم تظهر ولتتوضح في حي الرمل في تلك الفترة تلك القوى والعلاقات الاقتصـــادية وأشـــكال الملكيات الكبيرة فلم تظهر فيه وجاهات أو شـخصـيات قوية نافذة تحظى بأتباع ومريدين كثر تتنافس فيما بينها على الزعامات المحلية ضـــمن الحي، وإنما كان من الطبيعي أن يظهر في الحي في تلك الفترة نخب من بعض رجـال دين محترمين لهم وزنهم الكبير بين مريديهم يشـرفون على طقوس الشـعائر الدينية عند ســكان الحي ولا يتدخلون في الأمور الدنيوية إلا في مجال فض المنازعات في حال طلب منهم ذلك، وهم بالأصل ينتسبون لعائلات تتوارث سـلالة أجيالها المتعاقبة مهنة أو لقب رجال الدين في القرى التي نزحوا منها، نذكر منهم على سـبيل المثال لا الحصـر، بعض أهم أسـماء رجال الدين آنذاك، كما أفادني بعض من التقيت بهم، وهم:

الشـيخ (عبد الكريم علي حسـن الخطيب) من قرية الملاجة الذي كان إماما لجامع "الإمام علي بن أبي طالب" منذ تأسيسه، والشيخ (أحمد معلى غانم) من قرية "بيت عليّان"، والشـيخ (يونس معلىّ غانم) من قرية "بيت عليان" والشـيخ (محمد العبدالله) من قرية الصـفصـافة، والشـيخ (علي الحاج) من قرية "بيت الحاج معلّى" والشيخ (عبد الرزاق الحاج) من قرية "بيت الحاج معلّى والشيخ (علي العلي) أيضا من قرية "بيت الحاج معلّى" والشـيخ (أحمد عبد الرحيم) من قرية "حمين" والشـيخ (علي عبد الكريم عمران) من حمين. فرجال الدين هؤلاء، بالإضـافة لدورهم الديني، كانوا يقومون بدور المصـــلح الاجتماعي في بعض المســائل الصـــغيرة وفي أوساطهم الضيقة نسبيا وكثيرا ما كانت تحل بعض المشاكل عن طريقهم.

أما من حيث الوجاهة الاجتماعية الدنيوية في الحي فكما ذكرت سـابقا لم تظهر وجاهات كبيرة أقرب للزعامات القوية المتنازعة فيما بينها، بل كان يظهر بعض الرجال الكرام الميسـورين ماديا ويقومون ببعض أدوار الوجيه الاجتماعي المحلي في المناسـبات. فقد ذكر لي الأسـتاذ (محمد رحال) أكثر من مرة أن السيد (حسن الضابط) كان يجتمع عنده عدد كبير من الأشـخاص في منزله بعد صـلاة عيدي الفطر والأضـحى يبادلونه المعايدة ثم ينطلقون في موكبٍ جماعي يكون هو في مقدمته بحيث يمر الموكب على كل بيت لمعايدته، والعائلة الفقيرة يعايدها بمبلغ نقدي. بقيت

هذه العادة في الحي حتّى بلغ هو سن الشيخوخة. لكن لم تتكرر هذه الحالة في الحي بعد وفاته على ما يبدو، لأنه لم يذكر لي أحد ممن التقيت بهم عن حالة مماثلة في الحي.

وكان ثمة شخصية نسائية مؤثرة في الحي قوية بحكم ملبتها ونسبها وتحظى باحترام أغلب أهالي الحي وهي تناصر الحق دوما وتساعد قدر المستطاع كل من يلجأ إليها ويطلب مساعدتها الأمر الذي أكسبها وجاهة اجتماعية محلية كبيرة، هي السيدة (ثريا الرسلاني) أو (أم حسن ثريا).

لكن من حيث قوة الشكيمة ومناصرة الحق وحسم المشاكل عند اللزوم كان ثمة أشـــخاص، رجال، يعتمد عليهم مثل (عزيز الســـكاف) و(محمد عدبا) و (محمد الجرف).

أما من ناحية الميول السياسية فمن أوائل الشخصيات ذات الميول السياسي الواضح في الحي كان السيد (علي يونس) الذي كان ناصريا وبعد الانفصال عن الوحدة مع مصر سافر إلى مصر ثم عاد بعد فترة.

وعن التعايش الاجتماعي في الحي المتعدد دينيا ومذهبيا في بداية نشوئه فقد ذكر السيد (لمع يوسف الياس) والسيد (يونس مصلح) في أحد لقاءاتي المشـــتركة معهما، أنموذجا فريدا في بناية الســـيد (أبو رعد) أي بناية والد الســـيد (لمع) الذي كان يقع جنوبي القطاع الأوســـط من حي الرمل، الذي كان يتألف، آنذاك، من طابقين حيث كانت تســـكن فيه 3 عائلات متعددة الانتماء الديني فصاحب البناية (أبو رعد) مسيحي ماروني وثلاثة عائلات أخرى مســـتأجرة الأولى مسـلمة سـنية أصـلها من الحفة والثانية مســـلمة علوية والثالثة مســـلمة إســـماعيلية وكانت هذه العائلات متجاورة مع بعضها بكل رحابة وود.

## طبيعة أو نمط الشخصيات العامة في الحي منذ بداية تاسيسه

يبدو أن انتقال البشـــر بحثا عن مصـــادر عمل جديدة، من مكان إلى مكان للعيش الدائم، يحدث في النفس البشـرية اضـطرابات داخلية ناتجة عن صـــعوبة القطع مع طبيعة وثقافة وتقاليد المكان الذي ولدت فيه مع استحالة البقاء ضمن ظروفه، وبالتالي صعوبة التعامل مع الواقع الجديد في البداية ما يولد حالة صـــدمة أثناء التعرف على المكان الجديد بحيث تنعكس في تعاملاتها وعلاقاتها اليومية مع محيطها الجديد من جهة ومع بعضـها البعض من جهة أخرى، بأشـكال متعددة من السـلوكيات اليومية بعضـها يبدو غرائبيا أو أقرب للنمط الفانتازي في التعامل، وذلك حسـب السياق الزمني لعملية النزوح والانتقال وتبعا لدرجة ومستوى التطور في المكان الذي أتت منه، وبالتالي المكان الجديد الذي وصـــلت إليه مع ملاحظة الفروق بينهما.

وفي نموذج حي الرمل تحديدا، موضـــوع كتابنا هذا، فالنزوح إليه بدأ باكرا ربما منذ أواخر ثلاثينيات القرن العشـرين من محيط ريفي جبلي ما قبل حداثي، تتوزع قراه إما على ســفوح الجبال وتلالها، أو في أودية منبســطة تحيط بها الجبال في زمن كانت تنعدم فيه وســائل الاتصـــال والتواصـل الحديثة، فالعالم بالنسبة للريفي الجبلي كان مغلقا بجدران هذه الجبال العالية. وكما ذكرت في صفحات سابقة فإن طبوغرافيا حي الرمل وجغرافيته كانت تبدو قاسـية جدا وصـعبة لناحية العيش والتأقلم فيه، لكن كان يوجد عاملي جذب جذبا النازحين إليه أكثر من غيره، هما البســاتين والنواعير الزراعية التي تحد المكان شـرقا على امتداده من الشـمال إلى الجنوب، ومن ثم وقوعه على خط شـــط البحر في جانبه الغربي كون منظر البحر بحركته الدائمة، الهادئة حينا والهائجة الغاضـــبة أحيانا، وامتداده الواســـع كأفق لانهائي كان يخيف بقدر ما يغوي ســكان الريف الجبلي المتاخم بوديانه وجباله التي تغلق العالم على ســكانه بحدوده هذه في ذلك الوقت قبل دخول أي مستوى من تقنيات الحداثة في المواصـلات والتلاقي، وهو ما كان عليه حال الريف الجبلي المتاخم لطرطوس من جهة الشـرق وجنوب شـرق الذي تنعدم فيه السـهول الواسـعة والكبيرة فترسم حدود تضاريسه الوديان والجبال العالية بدون أفق واسع وكبير إلا

المطلة منها مباشرة بسفوح جبالها ومرتفعاتها الغربية على البحر بشكل مباشر لكن غالبا ما تكون هذه السفوح المطلة بعيدة نسبيا لجهة الشرق، طبعا باستثناء سهل عكار، البعيد نسبيا عن هذه الجبال من جهة الجنوب والغرب، الغني بأرضه الخصبة والمفتوح مع سهل عكار اللبناني.

فربما يكون هذا التحدي المكاني الجديد للنازح وضـــعه أمام خيارين: إما العودة إلى عالمه السابق في القرية التي أتى منها وهذا مستحيل بسبب الفقر الشـديد وانعدام أبسـط مقومات الحياة فيها في ذلك الوقت، أو البقاء ومواجهة هذا التحدي وهذا ما تم فعلا، فأنتج هذا الخيار مع الوقت نمطا من الشـخصـية لا تسـتطيع التخلص من نمطها الريفي البسـيط العفوي والساذج بسهولة، بكل محمولات ثقافة عاداته وأخلاقه القديمة التي حملها النازح معه، ولا هي تستطيع التأقلم بسرعة مع مستجدات حياتها الجديدة في مكان طرفي خاو من الحركة بعيد نسبيا عن مدينة كانت هي أيضا في طو التكوّن الأولي كمدينة، فانعكس ذلك في ازدواجية اضـــطراب داخل الشـــخصـية الواحدة وتنوعت هذه الازدواجية بتنوع وتعدد الأشـــخاص وتناسـلهم في الحي الجديد الذي كان ينشـــا ويتكون. فكان محور هذا الاضطراب داخل الحقل النفسي الجماعي لأبناء الحي هو خليط من هدوء واستكانة ببساطة ريفية ساذجة حملتها الشخصية الريفية النازحة معها من جهة، وخيلاء وادعاء مكابر ولدتا بتأثير التحدي وتحقيق بعض النجاحات الأولية البســيطة في محاولة التأقلم مع الواقع الجديد من جهة أخرى. فاكتسـبت الشـخصـية الجمعية بعض الغرائبية في تصـرفاتها وعلاقاتها وأحكامها لدى العديد من أبنائها، خصـوصـا لدى الجيل المؤسس وما تلاه في البدايـة. لـذلـك يمكن القول إن النجـاح الأولي هـذا أثمر حـالـة من "النشـوة"، فعلا، نشـوة نفسـية عند أهالي وأبناء حي الرمل اختمرت فيها تناقضـات عديدة لشـخصـية ريفية لم تتخلص من موروثها الثقافي التقليدي السـابق وهي تتحول إلى شـخصـية مدنية في محيط مدني كان هو نفســه أيضـا قيد التكون والاكتمال. حالة أنتجت الكثير من السـلوكيات الغرائبية والطريفة بل والمنفرة أحيانا عند الكثيرين من أبناء الحي.

**"نشوة الرمل"-:**

ولعل أفضل من عبر عن بعض السلوك الغرائبي لهذه الشخصية المضطربة، لكن الطيبة والجميلة في النهاية هو ابن حي الرمل الذي هو أيضا نتاج هذه الشخصية الجمعية كما أشرت، الشاعر والمترجم الأستاذ (أحمد م. أحمد) في نص أدبي قصصي له بعنوان "نشوة الرمل" كان قد نشره منذ أعوام على صفحته الخاصة على "الفيسبوك". وهو نص مشوق يقترب في أسلوبه، ولو بمستوى متواضع، من تقنية أسلوب "الواقعية السحرية" في الأدب، حيث يرسم الكاتب شخصياته في النص مستذكرا نماذج مختلفة من أجيال متعددة من البيئة الواقعية فعلا لحي الرمل ثم يمزج في سلوكياتها الفردية مختلف الطباع التي لاحظها في سلوكيات الشخصية الجمعية العامة للحي أو تلك التي يستدعيها من ذاكرته الشخصية عندما كان فتيا، كونه من مواليد الحي لا سيما في الحارة التي ولد وعاش فيها وتقع قرب المسيل عند الحد الفاصل بين حي الجامع وحي الرمل الأوسط.

يحوي النص 7 قصص وحكايات قصيرة عن حي الرمل، وأول ما يلاحظ القارئ للنص هذه الغرائبية الفانتازية في تسميات الأشخاص رجالا ونساء، وفي سلوكهم وحواراتهم التهكمية أحيانا فيما بينهم وفي تجارتهم ضمن الحي، وفي طريقة تربيتهم لأبنائهم.

وكي أوضح أكثر ما أعنيه هنا سوف أختار للقارئ بعض المقاطع الصغيرة المجتزأة من نص الأستاذ (أحمد م. أحمد) "نشوة الرمل" حيث يكتب مفتتحا في الحكاية رقم (1) عن الدكنجي والمسحراتي "أبو علي السكلما":

*"يضيف الدكنجي ومسحراتي رمضان أبو علي (السكلما) الماء إلى اللبن، ثم إلى الحليب، ثم إلى اللبن ..*

*وهكذا، يزن كيلو ل "علي ابن أم علي القرقة"، ينقص الوزن قليلا، قليلا جدا، فيلحس أصبعه ويدوّرها على حافة طنجرة الألمنيوم الداخلية فيكشط ما علق من اللبن ويمسح أصبعه على حافة صحن ابن القرقة. لا يزال الوزن ناقصا، يحك عانته، يلحس إصبعه من جديد ويعيد كشط الطنجرة. كانت حشوة القصدير التي تثّبت حلقة الإصبع في الأثقال الحديدية من فئة الأوقية ونصف الكيلو والكيلو المستخدمة في عملية*

الوزن قد حُفرت أو أنيبت، ليصـــبح الكيلو أقل بنصـــف أوقية من الكيلو النظامي، فدرج الناس على القول حين يشـكون في وزن بعض الأشــياء: "متل كيلو السكلما".

في شـبابه، أصـيب بو علي بقمل العانة، فكان يحك عانته باسـتمرار. وبعد زوال القمل استمر على عادة الحك، ثم صـارت عادة لدى أولاده ال 14 باسـتثناء ابنته (فازية ...!)، لدرجة أن المرء سـيعرف أن هذا الفرخ الصغير، حين يحك عانته، من سلالة أبو علي.

وأما أم علي، زوجته، فقد امتلكت أنفا يشــبه خطم الخنزير، فسـميت لدى أهل الجوار ب "أم علي الخنزيرة"، ونمّت كرشا كبيرة أمامها سببت لها الضـــيق في شـــغل التنور، وهي ترق العجين وتلقيه على الوســادة المســتديرة ثم تلصـــقه داخل التنور بينما تعلك البخور وتدلدل كلمتيها الأثيرتين ".... الكرررر". والحق أن "... الكرّ" كانت الاســم الذي تطلقه على كل شـــيء، والغريب أن أولادها كانوا يفهمون ما تقصـــده، كما حين تنادي أحد أبنائها: "ولك يا شــو اسـمك، جبلي شــوية ... كر" فيفهم ابنها اللبيه حيـــن أنها تحتاج إلى بعض الحطب للتنور، أو حين تزعق بابنتها (فازية): "وليييي .. وليي، هاتي ها ل "... الكر" فتفهم البنت اللجيبة أن أمها تريد الشـــوبك من أجل أقراص العيد. لكن الأكثر غرابة كان ذكاء أولادها في فهم أي (أم علي) من الأم عليات ال 15 كانت تقصـــد حين تقول: "ولك فرخ اللحو، روح جبلي هالشــلكة من عند أم علي"، ليهرع الفرخ إلى دار أم علي بقعو ويعود بطنجرة الألمنيوم تبع المشـــايخ، أو يطير أخوه متل السـعدان إلى بيت أم علي بحلين ليحضـر شـوية "... كرّ/ رشة سمّاق، وإلى بيت أم علي أخرى من أجل سكين الذبح التي قرأ عليها زوجها المســـاعد هيســـام (هيثم) آية ما، وربما إلى حاكورة أم علي الرسلانية لبعض الملح، خاصة في موسم المكدوس.

ولم يكن هناك من خلاف كبير بين أم علي الســـكلما وجاراتها ال (أم عليات) الباقيات يتجاوز انزعاجها من "الشـــوبة بو علي العرص.." المسيئة لها ول بوعلي حين يرددها الأولاد، وضـربهم كلب بيت السكلما الأعور الجربـــان من قبـل علي، وعلي، وعلي، وعلي، و .... لتبـدا بالصـــراخ المجنون: "أيلااااي ياااا ولاد المفلقحة.. متضـــربوووه ...!" وكانت تؤمن بأن الكلب هو أبوها خدّام مزار الشـــغ علي الضـــهرو، الذي

*عاقبه الله لأنه سرق بعض المال من المقام فمسخه بعد موته كلبا جماريا أجرب في دار ابنته".*

وتحت عنوان "نشوة الرمل 3 يكتب الأستاذ أحمد:

*"كان بيتنا دارا من غرفتين تفصلهما باحة ترابية تتوسطهما شجرة التوت، حيث كانت تنام البسيلة، وبيننا وبين دار أبو عزيز هناك قطعة ارض صغيرة يزرع فيها أبي الذرة، لمجرد انها تذكره بالضيعة التي نزحوا منها، وقربها كنا نربط الجدي الذي أحضر من أجل النذر المرسوم باسمي أنا شخصيا، كانت البسيلة مخلفة خلف رعش أبو عزيز القصير الأشيب يللي قاعد مع جارو دياب الطلبرجي الفاتل شواربو ع الطريقة العثمانية، لكنه يرتجف بسبب السنّ وعيناه تدمعان من حديث أبو عزيز ....*

*كنا نتجه إلى شرقي حاكورة اسكندرة لما بتبلش الشمس تغرب شوي، وبيكون الفيء يظلل الحائط الرملي الشرقي للحاكورة التي كنا نهرب إلى شطرها الغربي لكي ندخن هربية أو عند الهروب من المدرسة والتخلص من الدجاج المسروق هناك، كان يجلس الختيار محمد حبوس الشهير بالتجليط والفانتازيا، كنا نقعد نصغي لحبوس وهو يكشف بيجامته عن ساقه النحيلة ويفك شرطا ملفوفا على منتصف الساق لتبدو آثار دم وصديد كلما اقتربت لفة الشريط من نهايتها، ثم يبدو الثقب في مقدمة ساقه، ذلك الثقب الذي يسميه (الكَيّ)، يمسك عودا صغيرا ويزيل حبة حمص تبدو وكأنها مسلوقة، ويضع حبة أخرى يابسة، وهو مسترسل في صواريخه التجليطية "لما كنت عم صيّد .. قرد شديت الشبكة وما طلعت معي.. ولك شتتا.. ويا ا مت ألف قرد ما طلعت.. جبت عيّطت ل حسن النقيفة واين الضبعة وصاروا يا عمي يشدو.. والله متل ما تقولوا يا (موانم) ما شفنا إلا حوت بيطلع طولو من هان لهونيييييك، يعني فيكن تقولوا لعند الجامع .. وعلااا زمتي ضلينا ناكل ملو شي سنتين ... إي والخضر بو العباس .. وأكتر .. كيف حالك ا!.... حضّي ولحد ما ياكلني الدود أبنسى وقت اللي طلعت معنا غواصة .. وإجت الحكومة وشحطيتا .. ومن وقت ما شحطوها وع كبرها الحفر المسيل.. اي بدبلي، أبزل عليكون بحرف ... ويلاااي شقد بزاماني......".*

سأكتفي بهذه النماذج المقتطفة من نص الأستاذ أحمد المشوق، كما ذكرت، لعلها تكفي للإضاءة قليلا حول فكرتي عن نمط شخصية أبناء حي الرمل المضطربة والفانتازية في بدايتها الأولى وفي لحظة تأقلمها في بيئتها الجديدة، علما أن النص المذكور يتابع تطور هذا النمط من شخصية أبناء الرمل في مراحل زمنية لاحقة حتى نهاية العقد الأول من القرن الحالي 21 ، كما فهمت من قراءتي للنص ككل. طبعا لا يعني ذلك أن هذا النمط من الشخصية هو الذي سيطر على ما عداه في مراحل زمنية ومع أجيال جديدة متتالية، بل أزعم أنه ظهرت، أيضا، أجيال جديدة في حي الرمل منذ بداية الستينيات كانت بتطلعاتها ونهضتها التعليمية والثقافية مؤشر استجابة واضحة كبيرة وفاعلة لمتطلبات التطور المديني الجاد والحديث للحي ولمدينة طرطوس ككل، وخصوصا أثناء النهضة التعليمية التي حدثت فيه كما سأبين في الصفحات التالية، حسب ملاحظاتي المستقاة من تجربتي في الحي عدة سنوات كما أشرت سابقا.

# القسم الثاني
# بدايات التعليم والنهضة التعليمية في الحي

## تمهيد

كنت نكرت في كتابي الســـابق "الاندماج الاجتماعي في الســـاحل الســـوري"([3]) أن الشـــيخ (عبد الكريم علي حســـن) النازح من قرية "الملاجة" أوائل ثلاثينيات القرن العشرين كان قد رخّص وأسّس في تلك الفترة أول مدرســـة لتعليم الناشـــئة في منطقة ســـكنية كانت تتشـــكل على الحدود الشـــمالية لحي الرمل، مدرســـة "ذات بنوك وألواح وطباشـــير وغيرها من مستلزمات المدرسة" وكانت تضم حوالي 20 طالبا من أبناء النازحين الريفيين الأوائل العمال الفقراء، وكان يســـاعده في تعليمهم أخوه الشـــاب النازح من الريف حديثا يومذاك (أحمد علي حســـن). اســـتمرت المدرسة أربع سنوات ثم توقفت.

كما أفادني الفنان الأســـتاذ (رضـــوان الجاموس) في لقائي الوحيد معه قبل رحيله بالمعلومات التالية من ذاكرته حول البدايات الأولى للتعليم في الحي:

أن أقدم "خطيب" في الحارة اســـمه (محمد زهرة) كان يعلم اللغة والقران مقابل رغيف خبز وبيض لأنه لم يكن يتوفر نقود عند أغلب الأهالي.

وكان يوجد خطيب أخر اسمه (عبد الكريم العرقوبي) بداية الستينيات وكان مقره منطقة الرمل الأوسط.

وأول حلقة تعليمية في حي الرمل قامت بنشـــاط خاص عام 1958 وكانت في دار حجر مســـتأجر من قبل (غســـان خضـــر) حيث كان يعلم

---

[3] -: معاذ حســـن "الاندماج الاجتماعي والتشـــكل المدني الحديث في الســـاحل السوري – طرطوس نموذجا" - دار أرواد للطباعة والنشر- طرطوس 2022 – ص149 – 150.

الناشــئة فيه مبادئ اللغة عن طريق تحفيظ القرآن الكريم والخط والإملاء واستمرت تجربته حوالي العامين.

ثم أفادني أحد الذين التقيتهم وهو السيد(جميل شدود) من سكان "حي الجامع" أن الشيخ (حسن زغبور) الذي كان يسكن حي الجامع كان يعلم الناشئة في منزله "سور من القرآن الكريم".

أما بخصـوص المدارس الحكومية الرسـمية فقد أجمع كل من التقيت بهم أن أول مدرســة افتتحت في الحي كانت مدرســة "المتنبي" الابتدائية التي تم نقل مقرها من "حي السـاحة" بطرطوس القديمة عام 1960، مع بداية توسع حي الرمل بشكل ملفت وتزايد أعداد التلاميذ طالبي العلم فيه يومذاك.

كما أفادتني ابنة الحي السيدة (رويدة علي حسـن) أن مدرسـة المتنبي كانت مخصـــصـــة للطلاب الذكور أما الطالبات الإناث فكن يذهبن إلى مدرســة "أبي فراس الحمداني" وكانت تقع شـمال حي الرمل على امتداد شـارع "الوكالات حاليا"، وبعضـهن كان يذهب إلى مدرسة "قطر الندي" الابتدائية للبنات التي كانت تقع على امتداد شــارع "هنانو" لجهة الشـمال مقابل " نفس مقر "روضـة الأطفال التابعة لمديرية التربية حاليا"،

لكن عندما تم نقل مدرســة (المتنبي) الابتدائية من حي الســاحة في طرطوس القديمة إلى جنوب الثكنة قرب مكان يسـمى "كرم التين" ضـمن المجال الجغرافي والســكني لحي الرمل عموما أوائل ســتينيات القرن العشرين صـارت أعداد طالبي العلم تتزايد باستمرار خصـوصـا مع تزايد عدد الساكنين في حي الرمل من المهاجرين الريفيين الجدد. وهذا ما سيتم التوسع ذكره أيضا بتفصيل مهم في القسم الثاني من الكتاب.

## موجز خلفية تاريخية للنهضة التعليمية:

هنا أود أن أسترسل من ذاكرتي الشخصية، كون بداية سكني في حي الرمل كانت عام 1967 كما ألمحت ســابقا، وكنت في الصـــف الثالث الإعدادي "التاســع"، فقد عاصـرت بكثير من التفاصـيل اليومية ذروة ما يمكن تسميته نهضة تعليمية كبيرة في طرطوس وريفها المجاور، كامتداد لنهضــة تعليمية في سورية كلها عموما في ذلك الوقت، كانت مقدماتها قد

بدأت منذ منتصف الأربعينات بفضل التحولات المجتمعية العميقة التي كانت تصيب مجتمعنا السوري لا سيما لجهة كسر منطق العلاقة القديمة بين الريف الفلاحي القديم المغلق بتقاليد وأعراف رموزه الدينية والسلطوية "القروسطية" القديمة، وبين المدينة المحدثة كأفق مفتوح دوما، وكمركز للفعل والقرار، اقتصاديا وثقافيا وسياسيا، الأمر الذي كانت تتراكم أسبابه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وبداية عهود الاستقلال الوطني في سورية وانتشار المذياع والصحف وبداية انتشار وتعميم الكتاب المطبوع في الريف عموما وبداية ظهور أفكار اليقظة القومية والاطلاع على أفكار الاشتراكية والعدالة الاجتماعية وحركاتها أو أحزابها السياسية المعبرة، مما أنتج نقلة نوعية جديدة واضحة في وعي الأجيال الناشئة وفتح أمامها أفاقا حداثية في فهم الحياة وصنع المستقبل ليس في المدن فحسب بل وفي الريف أيضا، الذي كان بعض من أبناء النخب الغنية والمالكة فيه تتلقى تعليما خاصا لها في المدينة أو في بعض المدن الكبيرة فبدأت منذ ثلاثينيات القرن العشرين بالتعرف على المدينة بمظهرها العمراني وأفكارها وتنظيماتها السياسية والمدنية وتنقل معرفتها تلك إلى بيئتها الريفية القديمة عندما تعود إليها مع نهاية كل عام دراسي(4)، مما جعل أبناء القرى الأخرين في توق شديد لاكتساب العلم والمعرفة الأمر الذي لا يمكن لبيئاتهم الريفية المغلقة والضيقة أن تؤمنه لهم بسبب ندرة المدارس في أغلب قرى الريف الجبلي آنذاك، واقتصارها إن وجدت بمبادرات خاصة على المرحلة الابتدائية، أو على ظاهرة "الخطيب" بمعنى مبادرات بعض الأشخاص أو الشيوخ الريفيين في التعليم الديني واللغوي وحفظ القرآن، وهي ظاهرة تسمى في تراثنا العربي والإسلامي بمرحلة "الكتاتيب" في تعليم الأطفال والناشئة على يد شيخ معلم، في ظلال الأشجار الكبيرة أو في الجوامع والمجالس العامة أو

---

4 -: ربما صار معروفا لدى كل من عاصر تلك المرحلة أو كان قريبا منها زمنيا، ولكل متابع مهتم، أن نخب من أبناء العائلات المالكة أو المتنفذة في ريف الساحل السوري الذين أتيح لهم متابعة تعليمهم في المدن كانوا هم أول من نقل لأهالي الريف وأبناءهم الأفكار الجديدة العلمانية في المجتمع، والأفكار السياسة سواء يمينية أو يسارية، بل وحتى أفكار القومية العربية وهي تتأسس نظريا قبل أن تتحول إلى تيار سياسي جماهيري شعبوي كبير أواخر الخمسينيات.

في بيت الشــيخ المعلم نفســه، وذلك قبل مرحلة تعميم المدارس الحكومية النظامية.

تأسيسا على هذه الخلفية التاريخية التي أشرت إليها بعجالة فإن وجود مدرســـة للتعليم الإعدادي والثانوي في طرطوس منذ أربعينيات القرن العشــرين عندما أحدثت ثانوية طرطوس الرســمية وكانت تسـمى يومذاك "تجهيز طرطوس" عام 1945، وقبلها كانت مدرســـة "اللايك" التي أحدثتها ســـلطات الانتداب الفرنســـي منذ منتصـــف عشـــرينيات القرن العشــرين، جعل أهالي الريف الجبلي المحيط بطرطوس، تزامنا مع شــق العديد من الطرقات الجبلية بين الريف والمدينة والبدء بتســـيير آليات نقل خاصـــة عليها بجهود خاصـــة من المقتدرين من أهالي الريف، يرســـلون أبنائهم طلبا للعلم في المدينة بســـبب توفر المدرســـة الحكومية النظامية المجانية للمراحل الأعلى، إعدادية – ثانوية".

وبذلك صـــارت مدينة طرطوس مقصـــدا لطلبة العلم من أبناء الريف الجبلي المجاور مع بداية العهد الوطني فجر الاســـتقلال، وبشـــكل خاص للمرحلتين الإعدادية والثانوية، ثم صار يتزايد أكثر عدد طالبي العلم حتى من الجنســين أوائل الســتينيات، وهي الفترة التي شــهدت "نهضــة تعليمية كبيرة"، تزامنت أيضـــا مع الفترة التي كان يتزايد فيها ســكان حي الرمل بتأثير النزوح المســـتمر من الريف إلى المدينة، ويتوســـع باتصـــاله مع المدينة شـــمالا ويقترب من نهر الغمقة جنوبا ويقترب من البحر غربا، وهي، أيضـــا، نفس الفترة التي شـــهدت بداية إقلاع العمل بإنشـــاء "مرفأ طرطوس".

## غرف الســـكن المســـتأجرة في حي الرمل من قبل الطلاب الريفيين

كان من الطبيعي أن يســتقبل ويســتوعب حي الرمل النازحين الريفيين الجدد بقصـــد العمل في مرفأ طرطوس في نفس الوقت الذي يســـتقبل ويســـتوعب فيه الأعداد المتزايدة من أبناء الريف الجبلي المجاور، طالبي العلم آنذاك، في ســـكنهم المؤقت للعام الدراســـي أكثر من المدينة القديمة حيث تصــميمها العمراني التراثي والتاريخي القديم لا يســمح بذلك، بينما نمط الســكن الشـــعبي الجديد المتزايد والمتواضـــع في حي الرمل يومذاك

كان بإمكانه تأمين غرف جاهزة للإيجار تستوعب طالبين أو اكثر بأجار شهري مقبول قياسا على إمكانات الطلاب وأهاليهم الفقراء يومذاك، يتراوح بين 5 – 10 ليرة سورية حسب مساحة الغرفة وموقعها ونظافتها، تقسم على المشتركين في الغرفة بشكل يستطيع تحمله الطلاب طيلة العام الدراسي، عدا عن أن أهالي حي الرمل هم بالأصل من نفس أغلب القرى التي يأتي منها الطلاب للدراسة في المدينة وربما تكون علاقة قرابة أو معرفة ما تجمع البعض. وبذلك يتم تأمين مصدر دخل جديد لأهالي حي الرمل في ذلك الوقت لدرجة صارت أغلب العائلات في الحي تقوم بزيادة عدد الغرف في منزلها إذا كانت إمكاناتها تسمح بذلك بقصد تأجيرها للطلاب بشكل خاص، أو تترك من أصل البيت غرفة فارغة جاهزة للإيجار مع بداية كل فصل عام دراسي جديد.

فصارت تلك الغرف المستأجرة مع الوقت، التي كانت تتكاثر باستمرار، "شخصية اجتماعية مستقبلية" مستقلة، إن صح التعبير، تميز بها حي الرمل في تلك الفترة كونها كانت مجالا حرا مفتوحا للتلاقي والتعارف بين الطلاب والتفكير المستقبلي الحر خارج كل شرط ضيق في المجتمع، تحوي شبابا ريفيين قصدوا الحي وطرطوس طلبا للعلم والمعرفة على خلفية كل الممهدات التاريخية التي أشرت إليها سابقا. لدرجة أن حي الرمل منذ بداية الستينيات بدأ يتميز بالخصوبة السكانية المتجددة متحولا بذلك إلى بيئة مجتمعية جديدة ناشئة تتطور وتتكوّن، وغنية بتعدد الأجيال من خلال رفدها بدماء جديدة باستمرار، ليس من داخلها فقط وإنما من خارجها أيضا كما كان حال الطلاب الريفيين الوافدين الجدد طلبا للعلم في مدارس المدينة. فتعددت أيضا مستويات العمل ومصادر الرزق وتوثقت الصلات بقلب المدينة أكثر فأكثر، وتزاحمت الميول والأفكار والغايات والأهداف في الحي وكأنه مخاض مجتمعي جديد مصغر ليس للحي فقط وإنما لمدينة طرطوس ككل، لأن نشوء وتوسع وتكون حي الرمل في ذلك الوقت كما أسلفت هو ما أعطى لبلدة طرطوس السابقة امتدادا جغرافيا طوليا كبيرا من الشمال في حي البرانية إلى الجنوب عند حدود نهر الغمقة، مع تحول ديمغرافي خصب غني وهام في بنيتها السكانية. طبعا قبل أن تتوسع طرطوس فيما بعد شرقا وجنوبا بشكل كبير منذ الثمانينيات. وكما قال، مصيبا، أحد الذين التقيت بهم من أبناء حي الرمل وهو الصيدلي (لمع يوسف الياس) في

شهادته المنشورة في القسم الثالث من هذا الكتاب: "أن حي الرمل هو أول حركة توسع مكاني في طرطوس وإن كان على شكل عشوائي".

تلك هي الفترة التي كنت شاهدا عليها في ذروتها منذ عام 1967 في حي الرمل، حيث كان يزدحم الحي بالطلاب الريفيين طالبي العلم في طرطوس وهم محملين بهمين رئيسين: هم اكتساب العلم والمعارف بداية، وهم الارتقاء المجتمعي والتحديث في بيئتهم الريفية تاليا، ومندمجين بفعالية كبيرة على خلفية هذين الهمين مع أقرانهم الطلاب من أبناء أهالي حي الرمل ومع طلاب مدينة طرطوس ككل زملاءهم في المدرسة، حيث كانت توجد في طرطوس يومها ثانويتين واحدة للذكور وأخرى للإناث وموجودتان في القسم الشمالي من طرطوس فكان يضطر الطلاب المسير الصباحي اليومي مسافة طويلة من حي الرمل جنوبي المدينة إلى المدرسة في شمال المدينة الأمر الذي ساعد كثيرا على التلاقي والاندماج بين مختلف الطلاب بحيث أثمر علاقات تعارف فزمالة وصداقة ومتجددة دوما بحوارات يومية بمستويات متعددة ومتباينة متأثرين بذلك بمخاض مجتمعهم الجديد ودولتهم الوطنية الحديثة بعد جلاء المستعمر بكل ما نتج وينتج عن هذا المخاض من ثقافات وأفكار وحركات سياسية، فصار حي الرمل الذي أتسع وجمع آنذاك بين جيل المهاجرين الآباء الأوائل وما تبعهم من موجات هجرة متاليه منذ أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات وجيل أبنائهم، واندماج الجميع بمجتمع المدينة الجديد بخلفيات و غايات وأهداف متعددة، مع الوافدين الشباب الجدد من طالبي العلم في ذلك للوقت، مختبرا مجتمعيا لنشاط جميع الحركات والأحزاب السياسية التي كانت معروفة في سورية وطرطوس منذ أربعينيات القرن العشرين، شيوعي، بعثي، قومي اجتماعي سوري، ناصري .. إلخ. مع رجحان كفة الأحزاب اليسارية والقومية العربية في أوساط أهالي وشباب وطلاب الحي آنذاك مع ملاحظة هامة وهي أن التعرف على هذه الأحزاب والحركات ومجمل أفكار اليسار والأفكار الجديدة الأخرى غالبا ما كان يتم على خلفية حدث وطني - قومي كبير وجديد هزّ المجتمعات العربية بقوة في ذلك الوقت هو نكسة الخامس من حزيران عام 1967 التي دفعت الأجيال الشابة يومها للبحث عن الجديد كرد فعل على الهزيمة التي اعتبرت من قبل أهم أعلام الفكر النقدي العربي يومذاك أنها نكسة

وهزيمة للنظام العربي الرسمي الحاكم كما هي هزيمة لكل التقاليد والقيم القديمة المتخلفة المتوارثة من القرون الوسطى والمتجذرة في قاع المجتمع العربي الحديث، فظهر بشكل واضح لدى الأجيال الشابة في حي الرمل كما هو حال الأجيال الشابة العربية عموما يومذاك ميل التثقيف الذاتي، طبعا بمستويات متباينة، والتعرف تبعا لذلك على مختلف الاتجاهات الثقافية الأدبية والفكرية العربية والعالمية التي كانت معروفة آنذاك، بل وتأسيس المكتبات الشخصية عند البعض على خلفية هذا التأثر. فكان يندر وجود شاب لا يحمل هما مجتمعيا سياسيا، وطنيا أم قوميا، أو ثقافيا، في أي مستوى من مستويات الاهتمام. وكان يندر. أيضا، وجود شباب يفكر بميل طائفي أو مذهبي ما، حتى وإن وجدوا فكانوا يخجلون من إعلانه. وأذكر هنا أن العديد من شباب الأحياء الأخرى في طرطوس كانوا يقصدون زملاؤهم وأصدقاءهم في حي الرمل في زيارات ودية وحوارية مستمرة باستمرار بعدما تعرفوا عليهم وعلى رحابة تفكيرهم المجتمعي والمدني جيدا. وكم كنا نتعارف ونلتقي ونسهر سوية في الغرف المستأجرة أو في بعض بيوتنا نغني ونتحاور في السياسة والدين والجنس وأشواق الحب والعواطف الإنسانية.

فغرف الطلاب المستأجرة تلك آنذاك، والخارجة عن أي رقيب مجتمعي، أسروي عائلي أو سلطوي، حيث كان الدور الأمني الكبير للسلطات الحكومية ضعيفا أو غير موجود، كانت أشبه باستراحة المحارب وفضاء للبوح الحر والحوار الهادئ حينا والمنفعل حينا والغاضب في بعض الأحيان، في الدراسة والحب والسياسة والأفكار الجديدة والكبيرة التي كان يعتنقها البعض، لذلك كثيرا ما كانت تحدث خصومات لأسباب كثيرة لكن دون شجار مؤذ فسرعان ما يعود الود والتلاقي بين المتخاصمين.

## من تجربتي الشخصية في الحي تلك الفترة:

ولدت وتربيت في أسرة صغيرة متواضعة، لكنها تضمر طموحا كبيرا في مراتب الارتقاء العلمي والثقافي في المجتمع، حيث كان والدي (أحمد علي حسن)، من قرية "الملاجة" الواقعة شرقا في منتصف الطريق بين طرطوس والدريكيش، موظفا حكوميا استقر به المطاف في تنقلاته

الوظيفية أخيرا في طرطوس منذ عام 1967 كما أشـــرت ســـابقا، وكان أديبا وشاعرا معروفا بصلات واسعة على مستوى سورية في ذلك الوقت، كما كان قارئا نهما يهتم باســـتمرار بتكوين مكتبة تحوي العديد من أهم كلاسيكيات الأدب والتراث العربي الإسلامي وكتب الفكر والأدب العالمي الحديث. وأما والدتي فهي من مواليد مدينة طرابلس حيث ولدت وتربت وعاشت حتى زواجها من والدي، فمن الطبيعي تبعا لذلك، أن يكون والدي حريصـــان على تربية أبناءهما وبناتهما جميعا بذهنية مدنية رحبة مفتوحة باتجاه العلم والمعرفة وبعيدا جدا عن التعصب والانغلاق في التفكير.

لذلك أذكر أني منذ ذلك الوقت بدأت اطلاعي المتواضـــع على بعض كتب التراث العربي الإســـلامي ،والثقافة الحديثة من مكتبة والدي الغنية بهـذا الخصـــوص، ومـدفوعـا بفطرتي الاجتمـاعيـة وحمـاس المعرفـة والاطلاع، انطلقت برغبة جامحة لتكوين علاقات صداقة في مجتمع الحي وطرطوس عموما، ومن أول الطريق التقيت بصـــديق العمر الأســـتاذ (عبدالله ديب) حيث كان طالبا في المرحلة الثانوية لكنه شـــديد الاهتمام بالكتب والقراءة وحب السـينما بذائقة فنية عالية مبكرة وهكذا كانت اهتماماتنا بهذا الخصـــوص مشـــتركة كما في طريقة فهمنا للحياة، ومن خلاله تعرفت أيضـــا على زميله في الحي والمدرســـة (محمد ســـليمان) المهندس والكاتب والأديب لاحقا، الذي صـارت لقاءاتنا مشـتركة ثم التقينا سوية بشاب جديد من حي الرمل كان نهما في القراءة والحوار وحيويا في نشـاطه الثقافي واهتماماته الفنية هو الصـديق الأسـتاذ (سـليمان طوفان) الذي أذكر انه أقترح علينا عام 1971 التدريب على مســـرحية "الفيل يا ملك الزمان" للكاتب المســرحي (ســعدالله ونوس) في إطار منظمة "اتحاد شبيبة الثورة" التي كانت في حالة التأسيس بحيث يكون هو مخرج العمل وأذكر أننا بقينا نتدرب أكثر من شـهر على مسرح المركز الثقافي القديم، المســـرح القومي حاليا، لكن بدون أن نكمل حتى جهوزية العمل للعرض حيث توقف التدريب فجأة لأســـباب ما زلت لا أعرفها. ثم هاجر في وقت مبكر إلى ألمانيا.

وفي حي الرمـل بطرطوس بكـل محمولاتـه المجتمعيـة الوليـدة التي ذكرت، وخصوصا في الغرف المستأجرة إياها وفي منزلنا أيضا، تعرفت وتوثقت علاقتي وتعمقت أكثر يومذاك ببعض الشـــباب الرائعين من أبناء مختلف القرى حول طرطوس، وأذكر منهم بشـــكل خاص أبناء قريتي

"الملاجة" الذين لم تكن معرفتي بهم جيدة قبل ذلك، كوني عشت متنقلا مع أسرتي بين صافيتا وبانياس وطرطوس، حيث كانوا يدرسون في طرطوس، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر (عز الدين محمود غانم) القارئ المهتم والشاعر، و (سمير حسن) أيضا القارئ المهتم وصاحب المواهب الفنية المتعددة، و (علم الدين عبد اللطيف) الطالب الجاد بميوله الأدبية والشعرية الواضحة، و (حسين عبداللطيف) الشاب القارئ والمليء حماسا إنسانيا نظيفا، و (يوسف أحمد) الشاب البديع، خزان المواهب الفنية والحرفية الإبداعية، وأخيه (مفيد أحمد) الشاب الطيب الودود المحب. وأذكر أيضا أنه كان يوجد مجموعة لا بأس بها من شباب الملاجة الأخرين الذين يملكون مواهب فنية عديدة جميلة في الغناء وأداء التمثيل المسرحي وبعض الحرف اليدوية البديعة، وأغلبهم كان يسكن في غرف حي الرمل دارسا في المدرسة أو عاملا في حرفة ما. ولعل أكثر من تميز بينهم يومذاك الطالب الشاب (سهيل حسن) الشخصية الموهوبة الهادئة الجميلة المبتسمة والحزينة في آن معا، القريبة من حيث الشكل العام بدون تفاصيل الوجه من (شارلي شابلن) كما نعرفه في السينما بداية شبابه، فحركات الشاب سهيل يومذاك كانت تبدو كأنها متحفزة دوما لأداء دور فني تمثيلي كوميدي – حزين ناجح بامتياز.

أما في منزلنا في حي الرمل وكما أشرت سابقا فكان والدي ووالدتي رحبين جدا ولم يمارسان علينا أي شكل من أشكال الرقابة المتزمتة اجتماعيا، فكان بيتنا مفتوحا بترحاب كبير لكل هؤلاء المعارف والأصدقاء، لي ولأخويّ (حيان) بموهبته الشعرية الغنائية - الغزلية والرومنطيقية، و (إياس) باهتماماته الجادة الأدبية والعلمية منذ يفاعته، بحيث كان لكل واحد منا معارفه الخاصين به مع بعض المعارف المشتركة بيننا، وكثيرا ما كان يلتقي أغلبهم سوية في منزلنا حيث تكون لقاءات مفيدة وممتعة. بل كثيرا ما كان يلتقي في منزلنا يومذاك شباب عندهم نفس الاهتمامات والمواهب الإبداعية من أحياء أخرى في طرطوس كحي" البرانية" وحي "الساحة" وما تزال الصداقات مستمرة حتى اليوم بيننا.

ضمن هذا الجو الذي ربيت فيه وبتأثير المناخ المجتمعي والوطني السائد يومذاك، وبتأثير من الحوارات اليومية مع أغلب الأصدقاء الذين ذكرتهم من جيلي الشاب في الحارة وزملاء المدرسة وقراءة بعض

الدوريات التي كنا نتابعها، بدأت أتعرف على بعض أفكار الفلسفات الغربية الكبرى يومذاك كفلسفة "اللامنتمي" عند المفكر الإنكليزي (كولن ويلسون) والوجودية عند الفيلسوف الفرنسي (جان بول سارتر)، والتمرد عند المفكر الفرنسي الجزائري (ألبير كامي) ومن ثم الأفكار (الماركسية) التي كان اطلاعنا المبكر عليها بداية من خلال الطبعات السوفيتية المبسطة كثيرة الانتشار آنذاك في المكتبات.

أيضا لم نغفل اهتمامنا بالأدب والفنون فكنا نقرأ الروايات والمسرحيات العربية والعالمية التي كانت تصل مكتبات طرطوس وكانت أسعار الكتب والدوريات رخيصة نسبيا يمكن للطالب المهتم والجاد تحمل، عبر التوفير، شراء كتاب أو كتابين كل شهر على الأقل، كما كانت تستهوينا السينما بشكل كبير فحرص بعضنا، وأنا واحد منهم، على تنمية ذائقة فنية سينمائية جادة من خلال متابعة الدوريات السينمائية الجادة والاطلاع من خلالها على أهم الأفلام العربية والعالمية والتي كان يصل بعضها للعرض في صالات طرطوس يومذاك.

على خلفية هذه الاهتمامات والانشغالات الثقافية الفنية والسياسية المتنوعة كانت تدور الكثير من الحوارات في تلك الغرف التي كان يستأجرها الطلاب الريفيون في حي الرمل وفي بيوت بعضنا أيضا ومنها منزلنا.

## النبوغ المبكر في حي الرمل خلال عقدي الستينات والسبعينات

مما تقدم كان من الطبيعي أن يثمر هذا المناخ المجتمعي في الحي، كما ذكرت، حالات نبوغ مبكرة قياسا على زمنها وظروفها الخاصة والعامة، بحيث ظهرت مع الزمن من داخل هذه الأجواء في الحي شخصيات لها وزنها المجتمعي الثقافي والأدبي الهام حتى اليوم ليس في محافظة طرطوس بل في سورية أيضا، منهم من تابع اهتماماته تلك بشكل مستمر، ومنهم من ترهل وخفف من اهتماماته باكرا، ومنهم من رحل عن عالمنا باكرا، وبعضهم من أخذته وابعدته مشاغل أخرى في مسؤوليات الحياة اليومية، أذكر منهم جميعا:

الأستاذ (عبد الله ديب) الذي ظل وفيا حتى اليوم لاهتماماته الجادة بالفن السينمائي حتى صار أهم مرجع سينمائي في محافظة طرطوس، إضافة لاطلاعه الواسع على مختلف تيارات الفكر والثقافة. والأدب والفنون الأخرى

الدكتور (إياس حسن) الطبيب الناجح والكاتب والأديب والمترجم الذي لم تشغله دراسة مهنة الطب عن اهتماماته الثقافية الأدبية والفكرية حيث مازال حتى اليوم يتابع بدأب هذه الاهتمامات فيشتغل باستمرار على ترجمة سلسلة من الكتب الهامة عن الفرنسية والإنكليزية كما يقوم بإصدار مؤلفاته الخاصة.

المهندس (محمد سليمان) الكاتب والأديب القصصي الذي ما زال دؤوب الاهتمام بقضايا الفكر والثقافة والأدب.

الأستاذ (أحمد غانم) أستاذ الفلسفة والكاتب الناقد الذي رحل مؤخرا عن عالمنا تاركا أثره القيم في عدد من إصدارات الكتب التي ألفها والمقالات التي نشرها. وهو مؤسس وصاحب دار نشر "إياس" ومقرها حي الرمل. التي أصدرت العديد من الكتب في مختلف مواضيع الفكر والثقافة والأدب والفن.

الدكتور (سمير حسن) الأستاذ الجامعي الذي تابع تحصيله العلمي حتى درجة الدكتوراه في علم الاجتماع ثم اشتغل في التدريس الجامعي في سوريا ودولة سلطنة عمان، لسنوات عديدة .

المحامي (علم الدين عبد اللطيف) الكاتب الناقد والأديب الذي ملك موهبة الشعر والتأليف الروائي باكرا فأصدر حتى اليوم العديد من الكتب ونشر الكثير من المقالات النقدية.

الأستاذ (عزالدين محمود غانم) أستاذ اللغة الإنكليزية والشاعر والمترجم الذي صدرت له بعض الترجمات.

الشاعر (حسين عبد اللطيف) رهيف الذائقة الشعرية والذي أصدر مجموعة شعرية حيث يتابع العمل على إصدار مجموعاته الشعرية.

الأستاذ (علي محمد) الشاعر، وأستاذ اللغة الإنكليزية، الذي رحل عن عالمنا مؤخرا بدون أن يترك أثرا مطبوعا لكنه منذ كان طالبا في حي الرمل كان قارئا وحافظا جيدا للشعر العربي القديم والحديث، فشاعرا بامتياز بشهادة كل من جالسه وسمع شعره.

المحامي (فواز محي الدين حسين) الفنان التشكيلي الذي يعد حتى اليوم واحدا من أهم الفنانين التشكيليين في محافظة طرطوس.

(سليمان طوفان) الطالب الشاب الطموح والقارئ النهم حيث كان محاورا ونشيطا جدا في مسائل الثقافة والفن قبل أن يسافر باكرا، في منتصف السبعينيات، إلى ألمانيا حيث يقيم هناك حتى اليوم.

(حيان حسن) الشاعر الغنائي المليء حيوية ونشاطا اجتماعيا واسعا وحبا للحياة بنفس شاعري ظهر عنده باكرا ثم تبلور لديه حتى تم تصنيفه في الإذاعة السورية كشاعر أغنية، وقد لحن له العديد من الفنانين والملحنين السوريين. كما أصدر العديد من الدواوين الشعرية بالمحكي وباللغة الفصحى.

الفنان (رضوان محمود الجاموس) الفنان المسرحي خريج المعهد العالي للفنون المسرحية بدمشق الذي أدى أدوارا هامة على مسارح دمشق ثم أخرج العديد من الأعمال المسرحية في مدينته طرطوس وظل يعمل فيها حتى رحل عن عالمنا مؤخرا.

الفنان (علي محمود الجاموس) الفنان الموسيقي والمسرحي الذي تألق في هذين المجالين لسـنوات عديدة بالاعتماد على موهبته وجده واجتهاده بدون دراسـة أكاديمية، فجسـد بذلك هو وفريق الشـابات والشـباب الذين عملوا معه من حي الرمل وخارجها ظاهرة فنية ثقافية بامتياز. وسـوف أسـتعرض في صـفحات تالية من هذا الكتاب ملخصـا لتجربته الحياتية والفنية، كما رواها لي شخصيا في لقاء خاص معه.

الأستاذ (أحمد م. أحمد) الكاتب والشاعر والمترجم وصاحب دار نشر (أرواد) التي مقرها حي الرمل، التي تعمل باستمرار على إصدار العديد من الكتب في شتى مجالات الفكر والثقافة والإبداع الأدبي والفني، والذي لا يتوقف عن الكتابة وإصـدار دواوينه الشـعرية الخاصـة أو إصـدار ترجماته لسلسلة من الكتب الهامة عن اللغة الإنكليزية.

الأستاذ (علي ديبة) كاتب القصة القصيرة الذي أصدر عدة مجموعات قصصية، ومؤسس دار نشر "قرطاج " في حي الرمل التي تتابع أيضـا إصدار الكتب في جميع مجالات الثقافة والأدب والفن..

الفنان (محمد شـقرا) الخطاط ورسـام الكاريكاتير البديع وربما الوحيد في طرطوس الذي رحل عن عالمنا باكرا.

الأسـتاذ (عادل شـقرا) الخطاط والرسـام الجميل والمهتم حتى اليوم بالفن التشكيلي عموما.

الأستاذ (سمير حماد) الأديب الكاتب والشاعر الجميل.

(علي صـقر) كاتب القصـة القصـيرة الذي نشـر أكثر من مجموعة والعديد من المقالات والمتابعات. والموهوب في مجال المسـرح حيث لم تسـاعده ظروفه الحياتية الخاصـة والعامة من إكمال مسـيرته الفنية في مجال المسرح كما كان يحلم.

أيضـا ثمة أسماء أخرى لطيف جاد وجميل من الأصـدقاء الشباب في حي الرمل آنذاك لكن لم تثمر اهتماماتهم أثرا مكتوبا أو فنيا لكنهم كانوا وما يزالون أصدقاء لهم اهتماماتهم الثقافية والأدبية الجادة أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الأستاذ (صلاح محسن عبد الرحمن) مدرس اللغة الإنكليزية القدير في طرطوس وأخيه الصـديق الجميل والمهتم (ناصـر محسـن عبد الرحمن) صـاحب الذاكرة الغنية الجميلة والطريفة عن حي

الرمل وبعض شخصيلته، وكم كنت أتمنى لو استطعت اللقاء به واستمعت لشهادة غنية وقيمة منه.

المهندس الزراعي (توفيق سرور) الشخصية المتمردة الطريفة والطموحة في بداية شبابها، القنوعة والطيبة اليوم.

-----

طبعا تكمن أهمية الإشارة لهذه الأسماء بحمولتها الثقافية والأدبية والفنية والشخصية الخاصة، في سياق فكرة هذا الكتاب كونها لم تولد من فراغ أو نتيجة جهد ذاتي فقط أو كانت تحلق خارج السرب، وإنما لأنها وجدت ونمت ثم كوّنت ذاتها كما تريد داخل رحم مجتمعي خصب وغني في سياق لحظة مجتمعية جديدة كانت هي أيضا تتكون وتتطور، الأمر الذي ساعدها كثيرا.

فهذه الأسماء في لحظتها المجتمعية السابقة كانت علامات أو إشارات مجتمعية واضحة على تصور مستقبلي جديد ضمن الحي تماهى مع تصور مستقبلي لمدينة طرطوس وللبلد ككل، بمعنى أنها كانت تضمر تعبيرا ثقافيا جادا عما كان يجيش في رأس وتفكير وأشواق أغلب أبناء الجيل الشاب في حي الرمل يومذاك، فكثيرة هي أسماء الشباب التي كنا نلتقيها في حي الرمل تلك الفترة كان لديها نفس الأفكار والميول في سقف تفكيرها العلم بحيث كان يتغلب نشاطها الاجتماعي أو اهتمامات ومسؤوليات عديدة أخرى على نشاطها الثقافي الجاد. وإن ذكر أسماء هؤلاء الشباب يطول كثيرا وقد لا تسعفني الذاكرة في استعراضهم جميعا، لذلك يمكن اعتبار أغلب جيل الستينيات والسبعينيات الشاب في الحي يومذاك، والكهل في أيامنا هذه، هم الرعيل الحاضن والمؤسس للنهضة التعليمية التي ذكرتها ولكل الأفكار والاهتمامات الثقافية والفنية التي نتجت عنها وما ولدت لاحقا تجارب من ثقافية فنية، على صعيد المسرح خصوصا، أغنت الحياة الثقافية في مدينة طرطوس رغم أن شعلتها الأولى هي مبادرات وميول واهتمامات شباب حي الرمل في ذلك الوقت وهذا ما سأتوسع في ذكره قليلا في الصفحات التالية.

## ورشات تجارب فنية إبداعية مستقلة ومتميزة في حي الرمل استمرت طويلا

شهد حي الرمل بتأثير كل الممهدات التي ذكرتها في الصفحات السابقة حالات ثقافية فنية فردية وجماعية، هي أقرب لورشـــات عمل عفوية إبداعية، كانت تنضـج فيها تجارب جادة وجميلة بعضـها كان يقترب من الاحترافية كثيرا وبعضـها الأخر صـار احترافيا بكل ثقة بعد جهد متميز. سأذكر أهم هذه الورشـات والتجارب كما أفادني بها أصـحابها وبعضـن أصدقاء من رحل عن عالمنا منهم:

### تجربة الفنان علي محمود الجاموس

قبل الدخول في تفاصيل تجربة الفنان (علي الجاموس) أفترض أنه لا بد من الإشارة الهامة التالية:

بداية يؤسـفني هنا أن أسـجل أن لقائي القصـير مع الفنان المسـرحي الراحل الأستاذ (رضوان الجاموس) كان قصيرا لم يكتمل بسبب مرضه ومن ثم رحيله المبكر عن عالمنا بعد 6 أشـــهر من لقائي به، علما أننا كنا قد اتفقنا على متابعة اللقاء والاستفادة أكثر من ذاكرته وتجربته الشخصية في الحي وهو فتي وطالب ومن ثم فنانا مسـرحيا له تجربته المسـرحية الهامة في طرطوس بعد أن تخرج من المعهد العالي للفنون المسـرحية بدمشـق، وربما يكون لقائي مع أخيه الفنان الموسيقي والمسـرحي الأسـتاذ (علي الجاموس) واسـهابه بالحديث عن تجربته الشـخصـية والفنية في الحي وفي طرطوس بمثابة تعويض هام يحكي تجربتين لأخوين نذرا نفسهما منذ بداية شبابهما لموهبتهما واهتمامهما في مجالات الثقافة والفنون في الموسيقى والمسـرح. وهنا أود أن أنوه أن هاتين التجربتين كما هما نتيجة جهد شـخصـي دؤوب لكليهما إلا أنهما في الأسـاس، إضـافة للمناخ العام الذي كان سائدا في حي الرمل كما أشرت في القسم الأول، ثمرة التربية الخاصة في مناخ أسـروي خاص منفتح داخل بيت والدهما السـيد (محمود الجاموس) الذي هجر القرية باكرا، ربما أوائل أربعينيات القرن العشرين، ليعمل في شركة تسمى "بكتل" تختص بالمواد الغذائية، وسكن في البداية في بيت قريب جدا من وسـط طرطوس قريب من منطقة "المشـبكة" حاليا كما أفادتني زوجته السـيدة (سعدة ملحم)، ثم هناك فتح مطعما يقصده الزبائن من مشارب متعددة في الريف والمدينة ، وعندما انتقلت الأسـرة للسـكن في عمق حي الرمل منذ أوائل

الخمسينيات ظلت علاقة رب الأسرة بوسط المدينة، المشبكة، من خلال علاقة العمل في المطعم التي صار يساعده فيها ولديه (علي) و (رضوان) لاحقا عندما شبّا، كما أن زوجة رب الأسرة السيدة (سعدة ملحم) كما سنقرأ في شهادتها، عندما سكنت الحي في بداية ارتباطها بزوجها كانت قد جاءت من مجتمع مدني مفتوح ومتحرر من مدينة طرابلس في لبنان. فكل ذلك كما أفترض كان له دلالة إيجابية كبيرة في ذلك الوقت انعكس في كيفية تنشئة الأبناء في الأسرة بذهنية مدنية مفتوحة ربما تكون سبقت زمنها قليلا. لذلك أزعم أن هذه الأسرة أنتجت أهم ظاهرة ثقافية فنية في حي الرمل طيلة عقد السبعينيات وحتى منتصف الثمانينيات في القرن العشرين وهي ظاهرة الأخوين (علي محمود الجاموس) و (رضوان محمود الجاموس).

في لقاء خاص وطويل مع الفنان الأستاذ علي الجاموس بتاريخ 23 / 3 / 2023 حدثني طويلا عن ذكرياته وتجربته الحياتية والثقافية الفنية في حي الرمل منذ كان طفلا وسوف أنشر القسم الأول الخاص عن ذكرياته وتجربته في الحي في القسم الثالث من هذا الكتاب، أما هنا فسوف أكتفي بنشر شهادته بخصوص تجربته المتميزة فعلا في مجال الفن والمسرح التي طلبت أن يحدثني عنها بإسهاب، لأني أعرف تماما أن له تجربة شخصية غنية ومثمرة بل واستثنائية في حي الرمل وطرطوس منذ أواخر ستينيات القرن العشرين بحيث اشتغل على نفسه وموهبته جيدا بدأب حتى صقلها وأنضجها لدرجة ظهرت بجهوده مع مجموعة من الشباب والشابات يومذاك أول تجربة فرقة مسرحية جادة في طرطوس قدمت عروضها في العديد من المحافظات السورية حتى منتصف الثمانينات.

يحكي الفنان الأستاذ علي عن كيفية تعرفه على موهبته منذ بداية السبعينيات فيقول أنه باكرا أحس بميل قوي نحو الموسيقى وآلة الكمان تحديدا فعندما كان يساعد والده في المطعم الذي يملكه وسط المدينة بجانب ساحة المشبكة وفي الوقت الذي لا يتواجد فيه زبائن في المطعم كان يتناول سيخين نظيفين مخصصين لشواء اللحمة ويمسكهما في وضعية عازف الكمان، ويبدا بتحريكهما مع إيقاع لحن لأغنية ما من الراديو في المطعم. ثم يتابع ويقول: وصدف أن الفنان الموسيقي (محمود الحاج) كان يرتاد مطعمنا كل فترة وكنت أسمع به وأعرفه بالشكل لكن لم تكن لي معرفة شخصية قوية معه، وكنت في نفس الفترة أتردد على محل تصوير

"زنكو" المعروف يومذاك مقابل المتحف وكان يعرض في واجهة المحل آلة كمان للبيع بسعر مكتوب عليها 145 ليرة سورية، فبدأت أجمع من مصروفي اليومي حتى استطعت تأمين المبلغ وقصدت المحل وقلت لصاحب المحل "زنكو" أريد هذه الآلة وهذا هو المبلغ فقال تكرم وممكتها فورا فسألني: بتعرف تعزف، فأجبته: لا، فتابع قائلا هذه الآلة تحتاج لدوزان فالأفضل أن تأتي بشخص عنده خبرة ويكشف عليها ويدوزنها، فقلت له أريدها فورا.

وبدأت محاولة العزف عليها فورا من شدة حبي واهتمامي بهذه الآلة وكان عندي أصدقاء يعرفون العزف جيدا عليها منهم (محمد تيشوري) و (احمد تيشوري) وأخرين وصرت أستفيد منهم وابحث عن كتب بهذا الخصوص وبدأت أتعلم العزف مثابرا بتدرج ثم بعد ذلك وثقت علاقتي اكثر بالأستاذ الفنان (محمود الحاج) الذي كان يتردد على مطعمنا ويطيل الجلوس مع كاسة عرق أحيانا ويمسك ورقة ويكتب عليها بعض الأفكار والألحان فتقربت منه أكثر وحكيت له حبي للموسيقى وألة الكمان وما حدث معي عند شراء الألة وعندما لاحظ ميلي الواضح للموسيقى ورغبتي القوية بإتقان تعلم العزف على ألة الكمان صار يهتم بي أكثر وبدأ يعطيني دروسا داخل المطعم، أحيانا، فيرشدني ويصحح لي بعض "الدوسات" الغلط وهكذا بدأت وانطلقت وصرت أعزف جيدا حتى على النوطة الموسيقية بفضل جهدي الخاص بنسبة 75% والباقي من الأصدقاء والمعارف وبشكل خاص بإرشاد ومتابعة من الأستاذ الفنان (محمود الحاج) الذي طلب مني بعد أن تأكد من مقدرتي على العزف إن كنت ارغب بالانضمام لفرقته الموسيقية في حفلاته القادمة، فسألته وأنا مبتهج هل صار بإمكاني العزف مع الفرقة؟ فقال لي نعم وعندما وافقت صار يعطيني بعض النوط لأتدرب عليها وأحفظها جيدا، وفعلا صرت أشارك معه باستمرار كعازف كمان في فرقة (محمود الحاج) الموسيقية، ثم صرت ألحن بعض كلمات الأغاني التي تعجبني كأغنية من كلمات الشاعر (حيان حسن) التي يقول مطلعها "يا خيوط الشمس الجايي" وكانت اول اغنية أقوم بتلحينها ثم تتالت الأغاني التي لحنتها ولعل أجملها كما اخبرني أصدقائي "يا عنقود الدالة" وأغنية عن صيادي البحر يقول مطلعها " سهرانين سهرانين بصدر البحر وعرقانين" وقمت بتلحين بعض الأناشيد الوطنية التي قدمتها في مهرجان للأغنية السياسية

بطرطوس كما قمت بتلحين أغاني مسرحية للأطفال في التلفزيون العربي السوري بعنوان "ابن الغابة" وهي من إخراج (رضوان الجاموس).

لكن تبين لي مع الأيام وبعد أن أتقنت العزف على الكمان وصـــرت عازفا في فرقة أهم فناني طرطوس آنذاك الفنان الأستاذ (محود الحاج) أن شغفي بفن المسرح أقوى بكثير من شغفي بالموسيقى، ففي أحد تلك الأيام أواخر الستينيات وصـلت فرقة مسرحية من دمشـق إلى طرطوس لتقدم عرض مســرحي بعنوان "السـعد" وكان من بين الفنانين المعروفين فيها الفنانان الكبيران (عبداللطيف فتحي) و (ملى واصـف) وتحتاج هذه الفرقة إلى بعض الأشـــخاص كممثلين "كومبارس" في عرضـــها الخـاص بطرطوس، وبالصـدفة كنت في غرفة مدير المركز الثقافي يومذاك عندما حضـــروا إلى غرفته يطلبون منه مســـاعدتهم في تأمين "الكومبارس"، فبادرت فورا على القول: أنـا جـاهز لأشـــتغل معكم "كومبارس" في المســـرحية، فوافقوا فورا وأعطوني بعض التوجيهات والتعليمات حول دوري وعندما لاحظوا أدائي الجيد على خشبة المسرح وتفاعلي الصحيح من خلال ملامحي مع طبيعة الدور المطلوب مني أبدوا إعجابهم الشـــديد بي وعرضوا عليّ أن أبقى معهم في الفرقة بصورة دائمة. لكني اعتذرت بسبب ظروف خاصة بي، لكن تلك المشاركة جعلتني أحب المسرح وأهتم به أكثر فأكثر، فبدأت بمرحلة تثقيف ذاتي مسرحيا فاشتركت بشكل سنوي في مجلة "الحياة المســرحية" عند مكتبة اليقظة بطرطوس بحيث يصـــلني كل عدد جديد فور صــدوره فأقرأه وأحيانا أطبق تجريبيا بعض ما ينشـــر فيه من نصـــوص، أيضـــا كنت كلما ســمعت بعرض مســـرحي جديد في المســـرح القومي بدمشـــق كنت أذهب لأشـــاهده وأســـجل ملاحظاتي وانطباعاتي حول العرض عموما على دفتر كنت أحمله لهذه الغاية ثم كنت أحضــــر النقاشـــات حول العمل بعد العرض وأحيانا كنت أشـــارك بالنقاش.

كل ذلك دفعني، بعدما أحسست أني صقلت اهتمامي بالمسرح وعمقت ثقافتي به، لأفكر بعمل مسرحي حقيقي في طرطوس أتجاوز فيها عروض قصـيرة خفيفة كنا نقوم فيها مجموعة من الشـباب الهواة في إطار منظمة "اتحاد شـــبيبة الثورة" بطرطوس فكان أول عمل مســـرحي جاد أخرجته ويحمل الطقس المســـرحي الكامل بعد أن بادرت باقتراحه للمنظمة عام 1973 هو نص للكاتب (أحمد يوســـف داؤود) بعنوان "الكنز" ثم عملت

منذ ذلك الوقت على تأسيس فرقة مسرحية بإشراف "منظمة شبيبة الثورة" تضم عدد لا بأس به من الشابات والشباب من حي الرمل وخارجه أقوم بتدريبهم بشكل مستمر حتى صار لدينا عمل مسرحي جديد كل عام ، فمن حي الرمل كانت تضم الفرقة المسرحية الأسماء التالية:

علي الجاموس – إيمان حسين – يسرى أحمد – عايدة معوض – سحر زيفه - كمال محمود – عماد إسماعيل – سعد حمدان – الياس خوري – سمير عمران – مصطفى بركات – رضوان الجاموس – نبيل أحمد – علي غانم – يوسف حلوة – نصر مغامس – أسد ريبال الياس – عدنان تفاحة – مالك حسون – حاتم علي – منذر شاهين – بسام حسين – مرتضى ديبة – عزام الضابط.

ومن خارج حي الرمل كانت تضم: أمل مراد – جهيلة علي - محسن عباس – حسن إسماعيل – عبد القادر السيد.

ثم جاءت لجنة من دمشق باسم مهرجان الشبيبة المسرحي لتختار عملا مسرحيا كي ترشحه للعرض في المهرجان المركزي السنوي على مستوى القطر الذي كان سيقام ذلك العام في السويداء، وعندما شاهدوا العمل الأول "الكنز" تم ترشيحه فورا للعرض في المهرجان وسافرت مع الفرقة إلى السويداء حيث تم تقديم عرض المسرحية هناك، ومكثنا في السويداء اسبوعاً كاملاً، وكان لي شرف كبير أني قابلت أثناء ذلك قائد الثورة السورية ضد الفرنسيين (سلطان باشا الأطرش) بناء على طلب خاص من قبلنا حيث كانت المدة المحددة لنا 10 دقائق فقط بسبب مرضه وتقدمه في السن لكن المقابلة استمرت أكثر من نصف ساعة بناء على طلب السلطان نفسه عندما أشار للمشرفين على راحته قائلا اتركوهم أكثر، وكانت برفقة وفد طرطوس في اللقاء الفنانة السيدة (وفاء طيارة).

وبعد خروجنا من اللقاء فوجئنا بدعوة فرقة طرطوس للغداء على "المناسف" ومع تناول الغداء كانت فرقة فولكلورية من السويداء تغني لنا اغاني خاصة بالمحافظة وأذكر واحدة من بينها أحببتها كثيرا وكانت أول مرة أسمعها يقول مطلعها "لأكتب ورق وارسلك". فاحببت أن أسجل كلماتها ولم يكن لدي ورقة خاصة، كان معي فقط علبة دخان مزقت غلافها ووضعت محتوا ها في جيبي و بدأت أكتب على وجه البياض الداخلي فيها وما زالت ورق العلبة بحوزتي حتى الآن.

وبعد تقديم العمل المسرحي "الكنز" لفرقتنا نال إعجاب الجميع وكتبت عنه الصحف كثيرا بإعجاب فاجأني وأخجلني.

ثم تمت دعوتي مع الفرقة بعد فترة شهر لتقديم نفس المسرحية في صالة "القباني" بدمشق.

وعندما عدت إلى طرطوس ازدادت ثقتي بنفسي وأعدت النظر مجددا بتكوين الفرقة نحو الأفضل ثم فكرت بإخراج عمل مسرحي جديد، فاخترت نص مسرحي بعنوان "كفرقاسم" للكاتب الأديب الأستاذ (جان ألكسان) وكان هذا النص من النوع "التسجيلي" الذي يصعب إخراجه كونه يعتمد نصوص أقوال شخصيات سياسية في الحركة الصهيونية مثل (هرتزل)، لكن حماسي لهذا النص وموضوعه جعلني أفكر بحلول إخراجية تجذب المشاهد أثناء العرض ولا تشعره بالملل فأدخلت فكرة ادماج السينما بالعرض من خلال إسقاط ضوئي لصور الأشخاص ك (هرتزل) وغيره على شاشة كبيرة في المسرح عن طريق السلايدات بدلا من إسناد دور الشخصية لممثل قد لا ينجح تماما بأداء الدور، فمثلا عندما يذكر الراوي في النص قولاً لهرتزل تنطفئ الأنوار على المسرح وتسقط بقعة ضوء وبانتومي للممثلين، مع اسقاط صورة (هرتزل) عبر الفانوس الضوئي على الشاشة في المسرح مع صوت الراوي الذي يردد القول.

المهم أنجزت العمل وحضرت لجنة من دمشق خاصة بمسرح الهواة لتشاهد العمل فأعجبت به كثيرا ورشحته للعرض في "صالة الحمراء" بدمشق حيث حاز على إعجاب الجمهور والمهتمين والنقاد فأحدث ضجة كبيرة خصوصا بتأثير الحل الإخراجي الذي اقترحته لمشهد الختام في المسرحية.

فالمفترض أن تنتهي المسرحية بمشهد جنازة شهيد محمول على نعش يلفه العلم الفلسطيني، على المسرح فقط، لكني كنت دربت الفرقة على أن تحمل النعش في مشهد الختام وتنزل به من خشبة المسرح وتمشي في الصالة بين المشاهدين حتى باب الخروج من المسرح وهذا ما حصل فعلا، وعندما بلغت الفرقة في مشهد التشييع هذا مع موسيقى حزينة منتصف الصالة أعلنت بصوتي من غرفة الكونترول مخاطبا الجمهور الذي بقي جالسا يتفرج على الفرقة في مسيرها الجنائزي هذا قائلا: "نشكر حضوركم – المسرحية انتهت - إلى لقاءات أخرى" فوقف الجمهور وبدأ

بالخروج مع مشـهد الجنازة بحيث تحول إلى مشـهد جنازة حقيقي وبالفعل وخرج الجميع من باب صـــالة المســـرح مع الفرقة وهي تحمل النعش فاصـــطف الناس في الخارج وصـــار بعض أصـــحاب المحلات التجارية يغلقون أبواب محلاتهم احتراما للجنازة.

واشتغلت أعمالا أخرى عديدة أذكر منها مسرحية "السجين 95" عن نص بنفس الاسم للكاتب (علي عقلة عرسان) التي قدمتها على مستوى المحافظة فقط في طرطوس وبانياس وصافيتا.

ثم اشتغلت عمل مسرحي بعنوان "الطاعون يعسكر في المدينة" عن نص للكاتب (سامي حمزة) أيضا حصل هذا العمل على إعجاب الجمهور وأخذ ضجة كبيرة، وفي هذا العمل أخذت الدور الرئيسي في الأداء مثلما كنت قد فعلت في مسرحية "الكنز".

كل هذه المسرحيات أخرجتها وكنت ما زلت في المرحلة الثانوية وبعد المرحلة الثانوية انتســبت إلى المعهد الصـــناعي في حلب وهناك تابعت اهتمامي وتجربتي في الإخراج المســـرحي فعملت على تكوين فرقة مســرحية ودربتها على عمل بعنوان "الرحيل إلى الخوف" وتم عرضـــها لمدة أسبوع مع اعجاب كبير من الجمهور على مسرح يسمى "مسرح التدريب المهني" في حلب.

ثم تتابعت نشاطاتي في الإخراج المسرحي إلى عقد الثمانينيات عندما أخرجت عام 1986عمل مســرحي ضـــخم بعنوان "حفلة على الخازوق" للكاتب الكويتي (محفوظ عبد الرحمن) حيث تم عرضـــها 15 يوما متواصلة مع حضور كبير من الجمهور على مسرح صالة المركز الثقافي العربي في طرطوس، كما تم عرضـــها في إطار مهرجان مســـرحي في "درعا" ونالت إعجاب الجمهور هناك

أما العمل الأخير الذي اشـــتغلت عليه وقدمته هو مســـرحية بعنوان "رحلة حنظلة من الغفلة إلى اليقظة" التي اقتبســـها الكاتب المســـرحي (ســـعدالله ونوس) عن مســـرحية بعنوان "من يســـاعد الســـيد موكنبوت للتخلص من آلامه" للكاتب المســـرحي الألماني (بيتر فايس)، وهذه المسرحية فيها تغريب فاستخدمت فيها الأقنعة على وجوه الممثلين وكان عملا ناجحا بامتياز حيث نال إعجاب كل من شاهدها وأذكر أن العديد من الأشـــخاص كانوا يشـــاهدونها أكثر من مرة. عمل معي في المســـرحية

بالتمثيل نخبة من الشـابات والشـباب واغلبهم من حي الرمل أذكر منهم (حسن إسماعيل) (علي غانم) (عماد إسماعيل) (نبيل أحمد)

بعد ذلك دعيت لتقديم المسرحية في مهرجان مسرحي يقام في محافظة "دير الزور" وفوجئت هناك أن صـديقي الفنان السـوري (أيمن زيدان) مشترك بالمهرجان بنفس العمل ايضا وكان لكل واحد منّا رؤيته وأسلوبه الاخراجي، لكني أذكر أن العملين حازا على إعجاب اللجنة والجمهور. إلاّ إن براعة ومهارة الممثل (علي غانم) من فرقتنا في دوره حسـب تعليماتي الإخراجية له أعطت عمل فرقتنا إعجابا متزايدا أكثر فأكثر من قبل اللجنة والحضور.

وعندما تخرج أخي (رضوان) من المعهد العالي للفنون المسرحية عام 1981 بقي يعمل في دمشـق فترة من الزمن ولعب أدوارا بطولية هامة على مسـارحها، وعندما عاد نهائيا إلى طرطوس عام 1987 تابع معي الإشراف كمخرج مسرحي على عمل الفرقة المسرحية التي أسستها في طرطوس. بحيث صار لدي وقت أكبر للموسيقى والتلحين.

وفي نهاية الحديث عن تجربته أخبرني الفنان (علي الجاموس) عن عدد من التكريمات التي حصـل عليها من جهات وهيئات ثقافية لعل أهمها:

براءة تقدير لـه من قبل مجلس إدارة نقابة الفنـانين في الجمهوريـة العربية السـورية حيث قام نقيب الفنانين آنذاك الفنان الكبير (صـباح فخري) بمنحـه هـذه البراءة في طرطوس بحضـور عـدد من فنـاني المحافظة.

شهادة تقدير من قبل إدارة "مهرجان طائر الفينيق الأول عام 2009.

شهادة تقدير من إدارة ملتقى البيارق الثقافي.

**تجربة الفنان الراحل رضوان محمود الجاموس**

كما ذكرت سابقا فإني كنت التقيت بالفنان المسرحي الراحل (رضوان الجاموس) بتاريخ 1 / 6 / 2022 أثناء تسـجيل شـهادة والدته عن حي الرمل، أي قبل رحيله بستة أشهر، وكانت له مساهمة قصيرة لكن مفيدة جدا في ذلك اللقاء سـوف أشـير إليها في القسـم الثالث من الكتاب. وكنا اتفقنـا على تحـديد موعد لقـاء آخر مطول خـاص عن تجربتـه في الحي

والمسرح، موعد لم يتحقق بسبب مرضه ورحيله المبكر بتاريخ 9 / 1 / 2023، ورغم أنه توجد تقاطعات عديدة بين تجربته وتجربة أخيه الفنان (علي الجاموس) إلا أن تجربته تستحق أن يكتب عنها بشكل مستقل فحصلت على بعض الإضاءات على تجربته من خلال صفحته على الفيس بوك:

فالفنان بدأ اهتمامه ونشاطه المسرحي منذ عام 1974 مع أخوه الفنان (علي) ومن خلال منظمة الشبيبة وعلى مسرحها وبقية المسارح الموجودة في المحافظة بعد ذلك انتسب للمعهد العالي للفنون المسرحية بدمشق الذي تأسس عام 1977 وكان من خريجي الدفعة الأولى في المعهد بتقدير جيد جدا عام 1981، وصار عضوا في نقابة الفنانين منذ ذلك التاريخ. بقي في دمشق بعد تخرجه حتى عام 1987 عندما عاد إلى مدينته طرطوس ليستقر فيها ناشطا في مجال المسرح حتى النهاية. لذلك يمكن تقسيم تجربته إلى مرحلتين، مرحلة وجوده في دمشق ومرحلة عودته إلى طرطوس.

ففي المرحلة الأولى اشتغل في المسرح والسينما والتلفزيون حيث شارك في عدة أعمال نذكر منها في السينما في الأفلام التالية "نجوم النهار" للمخرج (أسامة محمد) و "الليل " للمخرج (محمد ملص) و "القناع" للمخرج (بسام محي الدين حسين).

وفي التلفزيون شارك في "المنعطف" و "الاحتفال" و "أشجار البحيرة" و جذور" و "حوش المصاطب" و " جذور" و مسلسل " بهارات الدفلى" و "الخطوات الصعبة" و "الفراري" و ""لعنة الطين" و "صلاح الدين الأيوبي".

وفي المسرح شارك في عدة أعمال منها "الخدامة" و "سفرة بلا سفر" و "كوميديا السلام" و "ابن الغابة" و "حكاية بلا نهاية" و "سرب العصافير".

المرحلة الثانية كانت في طرطوس منذ عام 1987 وحتى وفاته بداية عام 2023 حيث كان همه الأول محاولة الاستنهاض بالحركة المسرحية في المحافظة مع زملاءه المسرحيين وخريجي المعهد في المحافظة من خلال المسرح القومي بطرطوس وقدم على مدار هذه الفترة عدة أعمال مسرحية نذكر من أهمها تأليفا وإخراجا:

"حكايات من دفتر اليوميات" و "غرفة على السطح" عام 1992.
"ضجيج" عام 2012.
شهيق .. زفير" عام 2015.
"تفاصيل" عام 2017.
آخر أعماله "روبوت" 25 / 11 / 2022.

تم تكريمه عام 2022 من قبل مديرية المسارح والموسيقى في وزارة الثقافة ممثلة بإدارة المسرح القومي بطرطوس، لمساهمته الفعالة في إغناء الحركة المسرحية في المحتفظة وفي مسيرته الفنية.

كتبت الدكتورة (غادة وغبور) من طرطوس منصفة الفنان (رضوان الجاموس) على صفحته على الفيس بوك بعد تكريمه في المسرح القومي بطرطوس ما يلي:

" اذكر عندما طلبت منه في ٢٠١٤ المشاركة في الفيلم القصير/ صحوة وتر/ وهو من اخراجي والذي كان من إنتاج المؤسسة العامة للسينما دعما لسينما الشباب، وكان قد حضر فيلم لي سابق لنفس المؤسسة مبدياً إعجابه به لم يتوانَ عن القبول رغم ظروف العمل السيئة والتي تعامل معها بكل رقي واحترافية، مترفعا وقتها عن الصغائر إذ لا وقت لديه آنذاك للمتسلقين".

تجربة الشاعر الغنائي حيان حسن

يقول الشاعر الغنائي حيان حسن عن تجربته:

في بداية بناء وتكوين شخصية اندماجية في الوسط المحيط اذكر كان ذلك في منتصف ستينيات القرن الماضي حيث انهيت دراستي الابتدائية في بانياس الساحل ثم لأستقر مع اهلي بمدينة طرطوس بحكم تنقلات والدي في الوظيفة.

كان سكن العائلة بطرطوس منذ البداية في حي الرمل وعشت مرحلتين دراسيتين في هذا الحي الاعدادية والثانوية

فتكونت معظم علاقاتي مع ابناء هذا الحي اضافة لزملاء الدراسة من الاحياء الاخرى حيث تجمعنا مدرسة واحدة

في حي الرمل. بدأت بسن مبكر اهتماماتي في كتابة النص الغنائي كهواية شجعلي عليها اصدقاء من الحي ذاته

اذكر منهم الفنان المسرحي (علي الجاموس) والفنان الصديق الراحل (رضوان الجاموس)، وكان الفنان الراحل (عبدالله خضور) القادم من اللاذقية والذي استوطن حي الرمل صديقنا للتواصل في النشاط الفني وقد عمل واستقر في حي الرمل حتى وفاته. واذكر ايضا الاستاذ أحمد صالح الفنان الجميل.

وجميعنا كنا في المرحلة الثانوية نجتمع في سهرات يتنافس فيها الاصدقاء في التلحين وكم كنت سعيدا حين كنت أكتب لهم مشاعر شاب عاشق يغامر في كتابة النص الغنائي وهو دون العشرين من العمر

في حي الرمل كان هناك ناشطين كثر اذكر منهم ايضا الفنان المطرب (معين الحامد) الذي احترف الغناء وهو من نفس جيلنا الدراسي والاستاذ (مظهر رمضان) من سكان حي الرمل المدرس الموسيقي المعروف أما نحن جماعة ما قبل العشرين من العمر، فكان الراحل الفنان محمود الحاج يستقطب ويتابع كل نشاط لنا فكانت تجمعنا سهرات خاصة تولد فيها اغنيات يلحنها الشباب ومعظمها اغامر انا بكتابتها وخرجت تلك النصوص من خارج دائرة الحي /حي الرمل/الى المشاركة في المهرجانات والاحتفالات المنظمة على صعيد المحافظة عبر المسرح باهتمام وتشجيع ومتابعة من الراحل الفنان الاستاذ (محمود الحاج) وكانت سببا في احترافي كتابة النص المحكي والغنائي لكل الفنانين في مدينة طرطوس كالمهندس الصديق (عبد المجيد البرادعي) الفنان الجميل وفيما بعد الموسيقار الفنان (صفوان بهلوان) الذي جمعتني به صداقة وتعاون ونشاط كان له اثره الإيجابي للنشاطات المتميزة في المحافظة اهمها "اوبريت البحارة" واتسعت دائرة نشاطي بتشجيع من الجميع لأبدأ بتقديم نصوصي الغنائية لإذاعة دمشق منتصف سبعينيات القرن الماضي لتحظى نصوصي الغنائية بتشجيع من كبار الملحنين يومها انكر منهم عبد (الفتاح سكر) و( سميرحلمي) و (رياض البندك) و (سهيل عرفة) وغيرهم غناه عدد من المطربين في اذاعة دمشق انكر منهم (ماهر مجدي) و(معين الحامد) و (جورج خوري) والراحل الكبير (فهد بلان).

## تجربة الفنان حسن عزيز محمد مواليد حي الرمل 1968

هو فنان تشـكيلي ونحات حفر على الخشـب وعلى الحجر يعيش في منزله الخاص القديم البسـيط والمتواضـع الذي ورثه عن أهله الذي يقع بتماس مع "المسيل القديم" الذي يفصل حي الرمل الغربي لجهة الغرب، عن الرمل الأوسط وحي الجامع لجهة شمال شرق، وبموقع جميل قريب من البحر، بحيث صار يقع اليوم بين "الشارع العريض من جهة الشرق والشارع المتفرع عنه باتجاه البحر من جهة الشمال. وأمامه فسحة أرض طويلة، حاكورة، مفتوحة على البحر. فهذا المكان البسيط والمتواضع لكن الجميل بداخله وبموقعه القريب من البحر صـار مع الزمن هو مشـغل الفنان حسـن حيث تتواجد كل عدته فيه مع المواد الخام اللازمة للعمل من أحجار كبيرة وخشب. وفي داخل غرف منزله يوجد معرض دائم للوحاته التشكيلية ونماذج صغيرة من نتاجات حرفة الحفر لديه

وفي لقاء خاص معه في منزله وبين معروضات وأدوات ورشته الفنية بتاريخ 7 / 6 / 2023 حدثني باسترسال عفوي جميل عن تجربته الفنية في مجال الفن التشـكيلي التي نذر لها كل وقته حيث قال: إن أول معرض لأعمالي كان عام 2003 لكن كنت أحس منذ قبل ذلك بسـنين بمواهب دفينة في أعماقي لم تكن ظروفي تسـمح لها بالظهور، ومع مرور الوقت صارت تتسلل هذه المواهب بالتدريج كي تظهر وتفرض نفسها عليّ بدون ترتيب واعي مسبق من قبلي فصرت أبدا رويدا رويدا من خلال مواهبي هذه التي لعب قربي من البحر وعلاقتي اليومية معه ومع أحجاره وصدفه البحرية دورا إيجابيا في صـقل مواهبي الدفينة كما أشـرت، يضـاف إلى ذلك أني بدأت حياتي العملية بالعمل في مجال الديكور الأمر الذي سـاعدني على تكوين رؤيتي الخاصـة في النحت. وبدأت تظهر أعمالي للعلن، فموهبتي هي التي اختارتني من الداخل وشـكلتني في مجال الفن التشكيلي عموما لأنني أنا أيضـا أحببتها وتجاوبت معها ومع إلحاحها هذا. مما يعني أني بدأت وأنا في سن كبيرة نسبيا وليس منذ نعومة أظفاري كما يقول البعض عن أنفسهم.

لذلك فعندما وعيت جيدا لموهبتي وإلحاحها عليّ بدأت أهتم بها أكثر فأعطيتها من وقتي ومدخراتي الكثير حتى وصـلت لما أنا عليه الآن وها هي الآن ترد لي الجميل، فهي اليوم صـارت مصـدر رزقي الوحيد في

الحياة، ومتفرغ لها بالكامل أعيش في ورشتي الفنية ومع أعمالي باستمرار، وصار عملي في الفن التشكيلي له جانبان" جانب أختار موضوعه وشكله الفني أنا بمفردي كفنان، وجانب أخر يقوم على ما يطلبه مني البعض لمنازلهم أو لمكاتبهم ومحلاتهم و و.. إلخ.. ويوجد عندي داخل البيت في بعض الغرف معرض خاص لأعمالي أحرص أن يراه أي ضيف أو زائر أو صديق، طبعا غير المنحوتات الكبيرة والمتوسطة الموجودة خارج البيت في الدار كما ترى. وبالرغم من أني أرسم لوحات وهي مطلوبة مني كثيرا إلا أن الأقرب إلى نفسي هو النحت وبالأخص النحت على الحجر لا سيما أن المنحوتة الحجرية تبقى أمدا طويلا في التاريخ وتقاوم مع الزمن الكثير من عوامل الطبيعة القاسية، كما تعطي مؤشرا كبيرا على تاريخ الحضارة أو البلد التي أبدعها الفنان فيه.

فهذا الدار والورشة والمعروضات الفنية فيها تعتبر مملكتي الخاصة استقبل فيها كل من يرغب بزيارتها ومشاهدة أعمالي الفنية فيها وأخذ الصور التذكارية لها وبينها. فالمكان بطبيعته جميل وما زال كما هو منذ سكن أهلي فيه والإضافة الوحيدة عليه هو ورشتي الفنية بكل عدتها وإنجازاتي فيها.

## تجربة الفنان وسيم طالب

التقيت الفنان (وسيم طالب) بتاريخ 7 / 6 / 2023 بعد أن عرفني عليه الكاتب (علي صقر) في لقاء مشترك، كأحد أبناء أول تجمع سكني منظم في حي الرمل لأخذت شهادته عن هذا التجمع، لكني عرفت من حديثه معي أنه كان نشيطا جدا في مجال الاهتمام بالمسرح تأليفا وتمثيلا فهو من مواليد عام 1989 لكنه يعتبر نفسه، كما قال لي بالحرف، امتدادا لكل الذين سبقوه واشتغلوا في المسرح في حي الرمل وطرطوس، فتجربته يمكن اعتبارها امتدادا فعليا للتجارب السابقة في الحي أخذت منها وأضافت عليها. ولهذا السبب رأيت أن أصنفه هنا في كتابي هذا تحت عنوان "ورشات وتجارب فنية في حي الرمل" رغم أن الإطار التاريخي لكتابي هذا مسقوف بسبعينيات القرن العشرين.

فهو يقول إنه اشتغل تمثيلا في 35 عمل مسرحي نذكر منها أكثر الأعمال التي يعتبرها الأفضل بالنسبة لتجربته وأداءه وهي التالية:

"مغامرة رأس المملوك جابر" تأليف (ســعدالله ونوس) إخراج (علي إسماعيل).

"دوائر الغضب" تأليف (عبد الفتاح قلعجي) إخراج (محسن عباس).

"غرفة على السطح" تأليف وإخراج (رضوان الجاموس).

"تنويعات في حياة قرية" مأخوذة عن قصة قصيرة بعنوان "تعلم كيف تحب الزوفا" للدكتور (إياس حسن) إعداد وإخراد (رضوان الجاموس).

"الفيل يا ملك الزمان" تأليف (سعدالله ونوس) إخراج (علي إسماعيل).

"ذاكرة النفق" إخراج (علي إسماعيل).

كما أنه أخرج بعض الأعمال المسرحية منها:

"جثة على الرصـيف" تأليف (ســعدالله ونوس) إخراج (وسـيم طالب). قدمت على مسرح الشبيبة

"خفايا المتة" تأليف وإخراج (وســيم طالب). قدمت على مســرح الشبيبة.

"عفوا أيها الأجداد" تأليف (وليد فاضل) إخراج (وسيم طالب). قدمت على مسرح الشبيبة.

"الأخر" تأليف (سارة حسين) إعداد وإخراج (وسيم طالب). قدمت في إطار مهرجان "طائر الفينيق".

كما شــارك في عدة أعمال لمســرح الطفل بإشــراف وزارة الثقافة في طرطوس مثل "كوخ الأرنب" و "الدجاجة الذكية" وهما من إخراج (علي إسماعيل).

وكان التحق بدورة إخراج مسرحي عام 2004.

أما في مجال التلفزيون فقد أدى دورا في عملين هما "الشــتات" عام 2001، و "حارة المشرقة" عام 2015.

**تجربة حسن منعم**

أفادني الكاتب (علي صـقر) والفنان المســرحي (وسـيم الطويل) في لقائي المشـترك معهما بنفس التاريخ المشــار إليه سـابقا معلومة هامة عن الممثل (حســن منعم) من مواليد عام 1962 في حي الرمل اشــتغل في المسرح منذ عام 1977 وهو أول من قدم شخصية (شارلي شابلن) بشكل

ناجح جميل وممتع، كما أنه الوحيد الذي اشـــتغل بأســـلوب المســـرح الصـامت، لكنه رحل واغترب خارج البلد عدة سنوات ثم عاد وتوفي منذ عدة سنوات قليلة.

## تجربة مرتضى ديبة

وعن تجربة ابن حي الرمل الممثل (مرتضـــى ديبة) حدثني الكاتب (علي صـقر) قائلا: أنه يُعتبر ممثل من الجيل الثاني في السبعينيات حيث اشتغل مع علي صقر ضمن أول فرقة مسرحية خاصة في حي الرمل و طرطوس اســـمها "الينابيع" قدمت بين عامي 1979 – 1981 على مســـرح المركز الثقافي بطرطوس ومســـارح بعض المدارس في المدينة عدة أعمال منها "من منّا الملك" تأليف وإخراج (علي صـــقر) تمثيل (مرتضـى ديبة)، و مسـرحية " عندما يغيب المدير" تأليف وإخراج (علي صـقر) تمثيل (مرتضـى ديبة)، ومسـرحية "بياع الورد" وهي أول عمل صـــامت بانتومي قدم في طرطوس، تأليف وإخراج (علي صـــقر) تمثيل (مرتضى ديبة) و(داليدا عذرا).

كما اشتغل (مرتضـى ديبة) مع (فؤاد معنا) و (رضـوان الجاموس) و (نضـــال حمود) وغيرهم، وكان مشـــهورا بالأدوار الكوميدية. توفي عام 2021.

# القسم الثالث

# حكايا النشأة والتكون

## "شهادات من الذاكرة"

### توضيح تمهيدي

أعرض في الصفحات التالية نماذج شهادات من الذاكرة للأشخاص الذين التقيتهم، مشكورين، وحاورتهم من أبناء حي الرمل وهم من فئات عمرية متفاوتة نسبيا ويسكنون حتى اليوم في حارات مختلفة من الحي، لذلك فذاكرة كل شخص تتركز بالدرجة الأولى على تجربته في الحارة التي نشأ وسكن فيها أولا، وعلى سنين عمر تجربته التي يتذكرها في الحي ككل ثانيا.

أيضا، قد يلاحظ القارئ بعض التباين في بعض التفاصيل الصغيرة حول المعلومات التي أفادوني بها لا سيما لجهة توزع الأراضي من ناحية الملكية في حي الرمل قبل السكن فيه وفي بداياته، كما يوجد تباين حول المعلومة عن الملاك الحقيقيين الأوائل لهذه الأراضي وللنواعير والبساتين فيها وتوزعها ضمن الحي كما كانت قبل تحويلها إلى مناطق وأحياء سكنية. وأزعم هنا أنه من المتعذر على أي باحث مختص في هذا المجال ضبط هذه التباينات عبر المفاتحة مع كل شخص يصر على ذاكرته، لذلك رأيت أنه من الأفضل تسجيل المعلومات كما أفادني بها كل شخص دون تعديل وأترك للقارئ المهتم أمر ضبط المعلومة من خلال السؤال المستمر لأشخاص أخرين قد يعرفهم ولم أتمكن من لقائهم، وبهذه الألية يتم تجديد وتطوير ذاكرة جماعية قديمة للحي منذ بداية نشأته بشكل دائم مستمر، ويكفي لكتابي هذا محاولة فتح الطريق الأول في هذا المجال.

لكن بالرغم من ذلك توجد تقاطعات وتوافقات عديدة في أغلب المعلومات التي أفادني بها حول الحي منذ بداية نشأته كل من التقيت بهم.

ولعل واحدة من أكثر الشهادات إحاطة عن حي الرمل والتي اعتمدت عليها كثيرا في كتابي هذا هي شهادة الأستاذ (محمد رحال) المدرس السابق وعضو مجلس مدينة طرطوس لسنوات عديدة سابقا، خصوصا

لناحية إيضــاح الحدود الجغرافية للحي بشـكل دقيق، كما في مجال توزع الملكيات القديمة لأراضــي الحي ونواعيرها الزراعية قبل تكاثر الســكن وتبيان حدود كل ملكية فيه، إضــافة للعديد من التفاصــيل والجزئيات الصــغيرة التي ذكرها. لا سـيما أنه معروف عنه اهتمامه الدؤوب بمدينة طرطوس وأحياءها ككل عندما كان في المجلس، لذلك ما زالت ذاكرته قوية وغنية ومليئة بالحكايا عن الأحياء والشــوارع في المدينة وقضــايا الناس فيها، وبشكل خاص عن حي الرمل الذي ولد وعاش فيه طويلا.

طبعا ما سـبق من كلام لا يقلل من أهمية بقية الشــهادات أو يضــعفها، كما سيلاحظ القارئ الفطن، بل كل شهادة أخرى لها أهميتها الفائقة كونها دخلت أكثر في التفاصــيل المطلوبة، لأنه كما نعرف لا تكتمل معرفة المشــهد العام إلا بمعرفة التفاصــيل حتى بجزئياتها الصــغيرة المتعددة والكثيرة. لذا فأنا ممتن جدا لكل من قبل لقائي معه وأفادني بمعلومات هامة جدا من ذاكرته، فلولا هذه اللقاءات جميعها، بلا اســتثناء، ما كان لهذا الكتاب أن يظهر للقارئ أبدا.

لذلك رأيت أن أنشر كل شـهادة بشـكل مستقل تحت اسم صـاحبها مع ذكر تاريخ اللقاء الذي أجريته معه، مع توضــيح لا بد منه وهو أني قمت بصــياغة الشــهادات باللغة الفصــحى من أجل إعدادها السـليم للنشـر هنا بشـكل يحافظ بكل أمانة ودقة على حقيقة ومضـمون المعلومة كما هي في إفادة صــاحب الشــهادة، لأن جميع اللقاءات المســجلة بيني وبين الجميع كانت باللهجة المحكية.

### شهادة السيد (جميل شدود)

التقيت بتاريخ 31 / 5 / 2022 مع الســـيد (جميل شـــدود) مواليد 1928، من حي الجامع في محل الســيد (ثائر درغام) الذي يقع ضــمن عقار لبيت درغام الذين كانوا من أقدم ساكني منطقة (حي الجامع)، حيث بدأ حديثه بالقول أنه ولد في لبنان وجاء إلى طرطوس مع عائلته منذ كان في عمر 7 ســنين، أوائل الثلاثينيات، لذلك فهو يعرف حي الرمل جيدا، فحي الرمل يمتد من حي الجامع شــمالا حتى نهر الغمقة جنوبا، وشــرقا حتى الأوتوســتراد الحالي "شــارع الثورة" الذي أنشــئ في أرض نواعير وبســاتين ســابقا، فغرب الأوتوســتراد الحالي كانت بســاتين تزرع فيها

مختلف المزروعات "قصب مص" وبندورة وخضار متعددة. أما النواعير فكانت شرقي الأوستراد الحالي فكان توجد ناعورتان واحدة لبيت "جبيلي" والثانية لبيت "زين".

أواخر الخمسينيات بدأت الناس تتملك أراضي في حي الرمل. خصوصا في منطقة بجوار "الفندق الكبير" الحالي لجهة الجنوب. فيذكر أن السيد (أحمد طاهر) أول من سكن في كوخ ثم بنى غرفة صغيرة سكنها وتزوج فيها وكان يعمل في حفر آبار ماء في المنطقة، وبجواره من جهة الجنوب أيضا كان يسكن السيد (جميل صقور) في غرفة بناها، وأيضا بجواره السيد (محمود بو حسن) وإلى الشرق منه سكن السيد (راجي) الذي كانت مهنته تصليح دراجات. وإلى الجنوب منهم كان فرن (عبيدو)، الآن فرن "بيت مصلح" وإلى الغرب قليلا كان يسكن (الحوراني) في غرفتين و "حوش"، وبالتماس منه كان يقع "بيت زغيبي" . ثم يتابع ويقول أنه في ذلك الوقت كان الواقف في نفس المكان الحالي - في إشارة منه إلى المكان الذي التقي فيه في "حي الجامع" - كان بإمكانه رؤية نهر الغمقة بل وحتى عمريت لأنه لم يكن يوجد بناء في طول هذه المساحة. إلا بعض الغرفة المتفرقة هنا وهناك.

أما في حي الجامع فإن المكان الذي نلتقي فيه الآن كان عبارة عن "حوش" مع غرفتين ل "بيت درغام" من الدريكيش، ويقول السيد (جميل شدود) أنه منذ أوائل الثلاثينيات عندما جاء طرطوس سكن في نفس المكان بجوار "بيت درغام" الذي كان موجودا. وفي ذلك الوقت أيام الانتداب الفرنسي كانت تملأ المكان المحيط بالجامع، الآن دبابات وجنود فرنسيين ومن جنسيات مختلفة. أما مكان الجامع تحديدا فكان يوجد "تنور" وإلى القرب منه أيضا كان يوجد "تنور" آخر ل "بيت حماد" وإلى الشرق منه بيت "السيد محمد خدوج" وإلى الجنوب منه "بيت حماد" وإلى الغرب منه "بيت الضابط" و "بيت صبيحة". وبيت السيد "حسين عبد الوهاب" الذي بقي على حاله حتى الآن. وإلى الجنوب منه كان يوجد مقر للشيخ (محمود الخطيب) الذي كان وسيطا عقاريا في بيع الأراضي حيث كان مقره عبارة عن أربع "براكات توتيا" وإلى الغرب منه "بيت الشيخ يونس" الذي كان يتمتع بوجاهة ومسؤولية، والشيخ (صالح العلي) سكن أيضا خلال تلك الفترة مدة في نفس الحي "حي الجامع" في بيت السيد (كامل الضابط) وكنا نجلس معه مرتين كل أسبوع تقريبا.

ويقول السـيد جميل أنه غادر الحارة وتغرب خارج البلد منذ عام 1958ولم يعد إليها إلا في بداية السـبعينيات حيث وجد التغير والاتسـاع الكبير للحي وكل شـيء صـار مختلفا، فهو اشـترى قطعة أرض "280 متر" ليبني عليها بسعر المتر 20 قرشا سوريا آنذاك وكانت المنطقة كلها بدون طابو حتى بداية السبعينيات حيث تشكلت لجنة من قبل السيد (كامل الضابط) وشخص أخر من الجهة الشمالية للحي وأخر من "بيت السبع" وبدأت اللجنة بمبادرة ذاتية الاتصـال بالأهالي من أجل ذلك بهدف تنظيم لقاء مع الرئيس (حافظ الأسـد) وقد وفقنا في لقاءه وفعلا أعطانا تعهدا بذلك وبدأ تنظيم الحي وصـار المسـؤول الإداري والخدمي عن الحي المختار المرحوم (حسـين الفاخري)، وكانت أغلب الأراضـي مملوكة "كوقف مسـيحي" إما "للكنيسـة المارونيـة" أو "وقف للكنيسـة الأرثونوكسية" وكان المشتري يشتري بالقروش وليس بالفرنك. مع ذلك كانت بعض العائلات تسكن بداية في كوخ بسبب الفقر الأسود الذي كانوا عليه.

وفي لقاء ثان معه بتاريخ 2 / 6 / 2022 استرسلت ذاكرته في تذكر أقدم العائلات التي سـكنت حي الرمل من حدود خط الممسـيل الذي يقع شمال الحي من اللاييك غربا وبناية الدكتور (حسـن الحسـن) شـرقا إلى باقي حي الرمل جنوبا. فيذكر: "بيت الشـاعر" وإلى الغرب منه يقع "بيت الحج" والشيخ ديب وبيت (محمود زكية) وبجانبه كان يوجد بيت صاحبه من قرية "الخريبات"، نسـي اسـمه، كان يتردد عليه الخوري إبراهيم. ومكان "مطعم مشـوار الحالي" كان ممرا يوجد بجانبه شـرقا بيت (محي الدين) قبل مشفى الحكمة الحالي لأن مشفى الدكتور (عدنان محي الدين) كان يقع على الطريق العام "الأوتسـتراد حاليا بجانب "محطة فلسـطين" الحالية. وبجانبه كان (بيت الضـابط) وبجانبه بيت (خليل إسـكندر) وإلى الغرب منه كان يقع بيت(نظير قميرة) وإلى جانبه أيضـا بيت الضـابط وبيت جحجاح وبيت ديوب وبيت (حسـين عبد الوهاب) من قرية "بيت الحج" وبيت (علي الصـالح معلى) وبجانبه بيت الشـيخ (علي الخطيب) وفي المنطقة القريبة من موقع الجامع الحالي لجهة الشمال كان يوجد عدة "براكات توتيا" وإلى الغرب من هذه البراكات كان يقع بيت الشيخ (يونس معلى) وبجانبها "بيت صـبيحة" وبجانبهم تماما "بيت زغبور" وبجانبه "بيت الأدمي" وبيت قميرة و "بيت غانم عبود" و بيت (علي عبود) وبيت

(علي حمود) و"بيت الطويل" و "بيت الأدمي"، ومكان هذه البيوت هو نفس مكان مبنى اتحاد العمال لاحقا أو بجواره وقريب منه، حيث أن الأرض كانت ملكا ل (البير منصـــور) ثم باعها للاتحاد وكانت البيوت التي ذكرتها تقع بمواجهة البحر وكان أغلبها يتألف بداية من غرفة مع فسحة "حوش" صغيرة. وإلى الشرق من هذه البيوت بدءا من بيت (محي الدين) كان بيت (نظير قميرة) ثم (بيت زغبي) فثم بيت (أم ســـلمى) من الدريكيش ثم بيت (علي بدر) ثم بيت (علي توفيق) الذي فتح فندقا وسـكن فيه جماعة من "رأس الكشـــوفة" ثم بيت المرحوم (على درغام) ثم "بيت الكهربا" والكهربا هنا هو اســـم عائلة، وفي المقابل منهم كان يوجد بيت (عبد الحميد اسبر) ثم بيت "البحنيني أبو شـهاب" الذي جاء من البرازيل. ثم بيت السيدة (خديجة الحامد) ثم بيت امرأة عجوز كانت تسمى "أم آمنة" وعندها ابنتها، وإلى الغرب منها كانت تسـكن امرأة تسـمى (ديبة فارس) من الخريبات وكان عندها ابنتين، ثم اشـترى الشـيخ أبو منير وإلى جانبه مقابل الجامع اليوم سـكن الشـيخ جميل. وكل هذه العائلات بدأت بالسـكن منذ منتصـف الخمسينيات وحتى مطلع السـتينيات وكلها جاءت طرطوس وســـكنت في الحي لدواعي عديدة أهمها البحث عن عمل وحياة جديدة فالســـيد (على درغام) مثلا جاء من "الدريكيش" وســـكن طرطوس في الخمسينيات كونه كان يعمل في "السرايا" الحكومية.

ومكان الجامع الحالي "جامع الإمام علي بن أبي طالب" كان يوجد "تنور" وقبل ذلك كان مكان تجمع دبابات للقوات الفرنسـية وعسـاكر من جنسيات متعددة، وإلى القرب منهم كان يوجد "بيت تفاحة" و "بيت حماد" وإلى الشرق قليلا كانت الثكنة العسكرية من أيام الانتداب الفرنسي. وإلى الغرب منها كان يقع بيت الشيخ (حسن زغبور) الذي كان يدرس الناشئة "سور من القرآن الكريم".

فهذه هي أوائل العائلات التي سـكنت حي الرمل في قطاعه الشـمالي الذي يبدأ من جنوب مدرسـة اللاييك وبناية الدكتور (حسن الحسن) حتى حدود المنطقة المتاخمة لفرع الحزب جنوبا. وكما ذكرها لي مشـــكورا السيد (جميل شدود).

أما بالنسـبة للقطاع المتاخم لها من جهة الجنوب والذي اسـميه القطاع الأوسط والغربي فإن أوائل العائلات التي سكنت فيها حسب السيد (جميل

شدود) أيضا فهي: "بيت سليم" و "بيت حلوة" ثم "بيت الشنبور" وبالمقابل منهم كان يسكن "سنكري" اسمه "أبو بحر" وإلى جانبه كان يسكن (علي الجبوري) الذي كان عنده محل أحذية. وبالمقابل منه لجهة الغرب كان يوجد بيت يسمى "بيت الضبعة" وهو لقب قديم، وإلى جانبه تماما أيضا لجهة الغرب كان يقع بيت يسمى "بيت الجفل" وبالمقابل منهم كانت تقع قهوة "أم علي الجبل" ثم "بيت الحج" ثم فرن "أبو رعد" صاحبه من قرية الخريبات، وإلى جانبه "بيت الدريعي" الذي كان أصحابه يملكون سيارة شحن قديمة جدا. ثم بيت الجاموس، وبالمقابل منه "بيت الشيخ يوسف" وإلى الغرب منه "بيت محمد شدود"، وإلى جانبه "بيت السلمون" وإلى جانبه "بيت شكيب عثمان" الذي كان عسكري في البحرية، وإلى جانبه كانت توجد ناعورة لبيت "العبد ديب" تزرع فيها "خيار وفستق" وإلى الغرب منها مكان الفندق الكبير حاليا كان يزرع (محمود الظابط) "عجور وجبس" وكانت المياه مؤمنة بشكل كبير سواء لحاجة السكان أم لسقاية كل المزروعات من خلال فتح آبار كونه في أي مكان من الحي كان حفر الأرض الرملية بعمق متر ونصف كانت تظهر الماء ويسحبونها من خلال أداة "الطرنبة" التي كان مختصا بتركيبها شخص اسمه (محمود الضاهر) وكان مقر سكنه خلف مكان الفندق الكبير الحالي، وبالقرب منه لجهة الجنوب كان يقع بيت (راجي) الذي كان عنده محل دراجات عادية وإلى جانبه "بيت صقور" و "بيت الحوراني" وإلى جانبه شخص من "بيت زغيبي" وإلى جانبه "بيت محود الشايب" وإلى جانبه "بيت الشيخ حسن زغبور" الذي كان عنده محل حلاقة .كانت طبيعة أرض الحي رملية مليئة بنبات شوكي متوسط وكبير تدب فيها حشرات وأفاعي وأحيانا كانت تظهر فيها ليلا ضباع، وأشار محدثي السيد (جميل شدود) أنه رافقته الضبعة لعند بيته حيث يسكن أكثر من مرة، فحي الرمل في بداية السكن فيه كان مكانا موحشا جدا.

وأول طريق للمشاة داخل حي الرمل كان الطريق بمحاذاة البحر الذي يبدأ من "مشفى الحكمة" حاليا، ومطعم "مشوار" الحالي، ثم مع توسع السكن ظهر الطريق الثاني إلى الشرق منه الذي يبدأ الذي يبدأ من منطقة بناية الدكتور (حسن الحسن) جنوبا ويمر بتماس مع الثكنة العسكرية إلى عمق الحي "شارع هنانو لاحقا". ثم ظهر في مرحلة لاحقة الطريق الثالث الذي تحول لأوستراد فيما بعد ويمر من أمام مدخل الثكنة. أما وسيلة النقل

داخل الحي وخارجه فكانت "الحمير، والبغال، والطنابر" حيث لم يكن يوجد سيارات نقل بعد في طرطوس إلا عدد قليل جدا من سيارات للنقل الخارجي' إلى طرابلس كبوسطة "الحج عمران" الذي اشتراها بالليرات مثلا حيث كانت أجرة الراكب من طرطوس إلى طرابلس في "البوسطة" "فرنك" واحد. وكانت توجد سيارة واحدة لشخص إسمه (محمد عبود زين) اشتراها بمبلغ 100 – 120 ليرة سورية آنذاك وكان يسكن في منطقة تقع غرب "سوق النسوان الحالي" التي كانت ناعورة "زيتون وزنزرخت وليمون" حتى حدود ناعورة (صبري بيك) التي صارت اليوم حديقة كبيرة سميت حديقة الباسل. أما في منطقة حي الرمل فكانت توجد ناعورتان من زاوية جسر الغمقة الحالي وباتجاه الشرق واحدة منهما حتى حدود جسر الغمقة الحالي ل "بيت منصور" ويشتغل فيها شخص من "بيت الفتى"، والأخرى شرقي منها ل "بيت الزين".

وفي تلك الفترة الأولى من تشكل حي الرمل لم يكن يوجد طبيب وعيادة في الحي فكان المريض ينقل على دابة إلى مدينة طرابلس إلى عيادة الدكتور "مظلوم".

وبالنسبة لتقاليد الأعراس يومذاك فكان يتم استدعاء جماعة قرية "الجوبة" مع الطبل والزمر ومعهم المطرب الشعبي "حمد الجوبة" وأحيانا كان يغني في الأعراس مطرب شعبي أخر اسمه "شبوب بربر" الذي كان أصله من "وادي العيون" جاء طرطوس في البداية ليعمل حلويات "مشبك".

## شهادة السيدة (سعدة محمود عباس ملحم)

زرت السيدة (سعدة محمود عباس ملحم) أم علي الجاموس بمنزلها بحضور ابنها الممثل المسرحي الأستاذ (رضوان الجاموس) بتاريخ 1 / 6 / 2022، قبل رحيله بستة أشهر. وبدأت حديثها عن بدايات سكنها في حي الرمل حيث تقول إنها سكنت حي الرمل عام 1952 وأول بيت تم بناؤه في حي الرمل من منطقة الثكنة العسكرية جنوبا وباتجاه الشمال حتى الغمقة كان منزلها وزوجها السيد (محمود الجاموس) حيث كانا يسكنان بداية قبل ذلك في منطقة "المشبكة" الحالية. لكن منذ عام 1953 بدأ السكن ينتشر في الحي في غرف حيث أن أول غرفة تم بناؤها بعد بيتهم كان بيت السيد (يوسف الخوري) من الخربيات الملاصق لهم. ثم بيت (بديع ناصيف) و "بيت الشاتيلي" و "بيت شدود" ثم فيما بعد "بيت البيروتي" ثم بيت (عابد حسن) من قرية "بيت الحج معلى" ثم "بيت أم حسن ثريا الرسلاني" ثم "بيت أبو باسل محمد سعيد" ثم "بيت الفتى" ثم "بيت البونياحي" ثم "بيت أبو عدنان الحسّاب" من قرية حمين، وفي فترة متأخرة نسبيا جاء "المختار أبو ناصر" وسكن الحارة ثم "بيت أبو نبيل زريق". وبيت (حسين مصطفى) و "بيت الزمّار" و "بيت المنجد" و "بيت أبو علي جبل"

وتقول إن أول بيت سكنته في حي الرمل قبل أن تستقر في سكنها الحالي كان في بيت قميرة في منطقة حي الجامع الحالي وكان جيرانها هناك "بيت أبو يوسف ديوب" الذي كان موظفا بالمحكمة وكان عنده 13 بنت إحداهن (أميرة ديوب) المعروفة كمعلمة مدرسة و "بيت الشيخ يونس معلى" و "بيت الضابط" و "بيت درغام" و"بيت مخائيل الصائغ" و "بيت شقرا" و "بيت درويش" لذلك فبداية السكن في حي الرمل يبدأ من هذه المنطقة لينتشر جنوبا فيما بعد.

ثم تتابع قائلة: سكنا الحارة في البداية آنذاك وكانت أرضها مليئة ب "البلان الشوكي" الكبير الذي كان بمقدور الشخص الاختباء خلف النبتة منه. وكانت هذه النباتات الشوكية مليئة بالأفاعي السامة والحشرات الضارة، وعلى تماس مع منطقة السكن هذه كانت توجد ناعورة تسمى "ناعورة مصطفى ديب" تمتد من مكان فرن الطويل حاليا إلى مكان

حديقة الطلائع الحالية حيث كانت مليئة بالأشجار المثمرة وخصوصا الليمون والبرتقال وأشجار أخرى.

أما متى بدأ السكن في هذه الحارة يتكاثر بشكل ملحوظ فتقول السيدة "أم علي" من ذاكرتها السليمة انه في فترة عهد الوحدة السورية المصرية بدأت تفد أعداد متزايدة إلى الحي وبدأوا بالإعمار والسكن فيه. وكان الرجال منهم يعمل بأي عمل يتاح لهم، في الزراعة وحفر في الأرض وفي الحجر الرملي وبالبناء وبالعتالة.. إلخ فالوظائف كانت شبه معدومة يومذاك. واغلبهم أمي غير متعلم حيث لم تكن توجد مدارس لا في قراهم السابقة التي أتوا منها ولا في مكان سكنهم الجديد في الحي. وتتذكر مثالا لأعمالهم الصعبة والخطرة آنذاك عندما انهارت كمية كبيرة من التراب على شخص يدعى "أبو علي الشاتيلي" كان يحفر أساسا عميقا لبيت جديد مقابل بيتها في الحي وكانت بالصدفة تقف على شرفة بيتها فصرخت عندما شاهدت طبقة من التراب تقع عليه عندها جاء الجيران بسرعة لإنقاذه.

وكانت وسيلة نقل الناس والبضائع ومنتوجات النواعير إلى خارج الحي عن طريق الطنابر التي تجرها البغال ومن المحاصيل الزراعية التي كان يتم نقلها "قصب المص" و "البطاطا الحلوة". وأول سيارة في الحارة كانت ل (محمد الشلوف) لكنها لا تذكر متى دخلت الحارة.

**مصادر المياه في الحي**

وعن مصادر المياه للحي في ذلك الوقت تروي لنا السيدة (سعدة) أن مصادر المياه كانت متوفرة من خلال حفر أبار صغيرة في الحي قرب كل بيت وكان أشهر من يحفر الأرض لفتح أبار ويركب "الطرنبة" لرفع وضخ المياه من البئر وأعمال الصيانة للأبار حتى أوائل الستينيات، شخص اسمه (أحمد الطاهر)، لكن المياه كانت مالحة قليلا.

وعن تأمين الخبز تقول إن من أوائل الأفران في الحي كان فرن "أبو رعد" ثم فرن صقور.

ومن ذاكرتها أن الحي كانت طبيعته قاسية جدا حتى الضباع كانت تتواجد فيه بكثرة خصوصا مساء.

**حول بدايات التعليم في الحي.**

وعن بدايات التعليم والنشـاطات الفنية في الحي سـألت ابن السـيدة أم علي، الفنان الأسـتاذ (رضـوان الجاموس) المولود في حي الرمل عام 1956 الذي أجابني بما يلي:

أقدم "خطيب" في الحارة اسـمه (محمد زهرة) كان يعلم اللغة والقران مقابل رغيف خبز وبيض لأنه لم يكن يتوفر نقود عند أغلب الأهالي.

وكان يوجد خطيب أخر اسمه (عبد الكريم العرقوبي) بداية الستينيات وكان مقره منطقة الرمل الأوسط.

أول حلقة تعليمية في حي الرمل قامت بنشـاط خاص عام 1958 وكانت في دار حجر مسـتأجر من قبل (غسـان خضـر) حيث كان يعلم الناشـئة فيه مبادئ اللغة عن طريق تحفيظ القرآن الكريم والخط والإملاء واستمرت تجربته حوالي العامين.

ثم بدأ إنشـاء المدارس الحكومية أواخر خمسـينيات القرن العشـرين فكانت أول مدرسة ابتدائية في الحي هي مدرسة (المتنبي) في موقع يسمى "كرم التين"، قرب الثكنة العسكرية لجهة الجنوب، والثانية كانت مدرسة (قطر الندى) قريبة من البحر على حدود حي الرمل من جهة الشمال

بدايات الظواهر الفنية في الحي

ثم تابع الأستاذ رضـون عن بدايات الظواهر الفنية التي عاصـرها في الحي قائلا: كان يوجد شخص اسمه (شبوب بربر) عازف ربابة يغني في البيوت والمناسـبات وفي الأعياد ومع الأصـدقاء في الحي، وكان قوالا، وأغلب أغانيه طابعها حزين كالموال التالي:

خاين يا دهر ما عندك عدالة

حبيبي الكنت حبو صار عدا لي

وبعد ما كنت عنقودا عا دالة

دبلت وكسر غصوني الهوا.

ومن الأغاني الشـعبية الشـفوية المتداولة في الحي في تلك الأيام وغير المعروف صاحبها تقول:

مشمش مشامش تمشينا لحضرتكن

يا تمر حنة زرعنا فيه محبتكن

نحنا الغشاما بعدنا للنساكن
بعتو كلام الجفا ولا منستاهلو منكن
دقيت باب الجنينة ردلي تسرين
والورد يا أحمر والزهر تاكي حزين.

أيضا ظهر في الحي مبكرا شخص معه "صندوق فرجة" وكان مغرما به وكنا نمشـــي معه بين البيوت خصـــوصـــا في الأعياد وكان يرغب به الأطفال كثيرا.

أما السيدة (فريال محمود الجاموس) أخت الأستاذ (رضوان الجاموس) التي كـانـت موجودة معنـا في اللقـاء فروت لنـا من ذاكرتـهـا وهـي طفلـة صـغيرة في الحي عن بعض تقاليد وطقوس العيد في الحي حيث كان يأتي الطبال ومعه ابنته صبية يافعة، هي ترقص وهو يدق في ساحات الحي.

أما المعايدة فكانت جماعية وبشكل عائلي بين سكان الحي.

## شهادة السيد (يونس مصلح)

كما ذكرت سابقا فإن السيد (بولس مصلح) المولود في حي الرمل عام 1966 كان من أكثر المتحمسين لفكرة كتابي هذا فأعطاني من وقته الكثير لذلك اعتمدت عليه كثيرا في تأمين مواعيد للعديد من اللقاءات التي اجريتها في الحي بحكم معرفته وخبرته الكافيين في الحي وعائلاته ورجالاته، لذلك خصصت لقاء خاصا معه بتاريخ 1 / 6 / 2022 ليدلي بشهادته من ذاكرته عن الحي.

بدأ حديثه معي عن بدايات إنشاء الأفران في الحي وعن بدايات وأسباب هجرة عائلة "بيت مصلح" من قرية "شاص" في سهل عكار إلى طرطوس فيقول:

إن أقدم فرن في حي الرمل هو "فرن أبو رعد" الذي يقع مقابل المقر السابق لمخفر شرطة حي الرمل حيث يفصل بينهما الشارع الرئيس في الحي منذ ذلك الوقت "شارع هنانو" وصاحبه "أبو رعد هو من قرية "الخريبات" الذي أنشأ الفرن في بيته كأحد أقدم بيوت الحجر الرملي في حي الرمل وكان الحطب هو مادة التحمية الأساسية والوحيدة في الفرن حيث الخبز هو الرغيف الكبير المشروح.

أما الفرن التالي فهو فرن "بيت مصلح" في شارع ضمن حي الرمل الغربي وكان مستودع "الطحين" في منطقة "المشبكة" الحالية حيث يتم تسليم كيس طحين واحد لكل فرن يوميا، وكانت أجرة نقل كيس الطحين على الطنبر من المشبكة إلى الفرن "ربع ليرة سورية" لذلك كانت الوالدة تحمل كيس الطحين من المشبكة إلى الفرن في الحي على كتفها توفيرا للأجرة.

وكان الوالد يعمل أيضا في تصنيع التخوت الحديدية في المشبكة عند شخص يدعى (إبراهيم الطرابلسي) وعندما كان يضطر للتأخر بالعودة مساء إلى البيت في الحي كان كثيرا ما ترافقه الضباع البرية لأن المسافة بين المشبكة وبيوت الحي كانت رملية فيها نواعير مشجرة وخارج النواعير كانت التربة الرملية مليئة بالنبات الشوكي الكبير لذلك كان الشخص يضطر لتشغيل القداحة في وجه "الضبعة" كي تبتعد ولا تقترب كثيرا.

أما هم سبب مجيء الوالد من السهل إلى طرطوس فيعود إلى تسلط البيكوات فيه، فأحد رجالات البيك اسمه (ياسر الدبوسي) يفتعل مشاجرة بدون سبب مع الوالد الذي كان شابا وحيدا ومعتدا بنفسه ليرد الوالد عليه بضربة مؤلمة في الرأس ثم هرب، الأمر الذي استوجب من كل العائلة مغادرة القرية في السهل والمجيئ إلى طرطوس لأن البقاء في القرية كان يعني في ذلك الوقت، عشرينيات القرن العشرين، انتقاما شديدا من البيك ورجاله. وأول ما قامت به العائلة في طرطوس أنها بنت غرفة في حي الرمل سكن فيها جدي وجدتي ووالدي الذي كان وحيدا. ثم يقومون ببناء غرفة ثانية وثالثة كلما توفر معهم كلفة بناءها وغالبا كانوا يقومون بتأجير الغرفة الزائدة كمورد للدخل. ويقول السيد "يونس" أنه يتذكر عندما بلغ الخمسة عشر من عمره في بيت العائلة القديم أنه كان يحوي البيت على سبع غرف سكنوا في اثنتين منها والباقي قاموا بتأجيره، وكانت وسيلة التدفئة في أيام البرد الشتائية هو "بابور الكاز" القديم حيث يتم وضع تنكة على رأسه المشتعل ويتوزع الدفء على من حوله.

وعن بقية الأفران في الحي حدثني السيد "يونس" أن الفرن الثالث في الحي لجهة الغرب كان فرن "بيت العصفوري" وأصلهم من "المندرة" فحل محل فرن والدي الذي أغلقه فترة من الزمن حوالي 15 سنة بسبب انشغاله في عمل أخر ثم تم تأجيره لشخص يدعى (عبيدو الضابط) الذي قام بتحديثه لدرجة أن اسم الفرن حتى اليوم يسمى عند البعض "فرن عبيدو" مع أننا قمنا باستعادته منه لاحقا ونقوم بتشغيله حتى اليوم.

وبعد انشاء هذا الفرن تم انشاء فرن (جميل صقور) لجهة الشمال من فرن أبو رعد عند المسيل القديم. ثم أحدث فرن أخر لجهة الشمال، بمحاذاة منطقة الملجأ الحالي، تعود ملكيته لبيت السليم لكن الذي كان مؤجرا ل "بيت غالية".

أما عن انشغالات والده (عيسى مصلح) الأخرى غير الفرن الذي وجد فيه صعوبة وسهر في الليل، فهي صناعة مفارش الحديد فهو أول من صنع مفرش حديد على شاكلة المفارش العسكرية الحديدية وكان يكتب على كل تخت اسمه (عيسى مصلح) وكانت جوانب التخوت "المفارش" من حديد "الصاج" القوية جدا وأما المفرش الذي كان يصنعه (عيسى مصلح) كان على شكل حصيرة يتألف من شريط متداخل مع بعضه

البعض، وهذا أيضـــا كان يعطي المفرش متانة أبدية بحيث يمكن شـــده باســـتمرار كلما ارتخت الأشـــرطة فيه. وهذه التقنية كان الوالد (عيســـى مصـــلح) قد تعلمها من (إبراهيم الطرابلســـي) الذي كان محله في منطقة المشبكة التي كانت تحوي العديد من معلمي الحرف آنذاك بحيث أن أغلب رجالات حي الرمل الوافدين الجدد كانوا يقصـــدون المشـــبكة لتعلم بعض الحرف المتاحة فيها آنذاك.

بعـد الطنـابر كوسـيلـة نقـل ضـــمن وخـارج الحي بـدأت تظهر "الطرطيرات" ثم بعد ذلك السيارات وأكثرها من نوع "فولكسفاكن" وأقدم شـــارع يخترق حي الرمل كاملا من الشـــمال إلى الجنوب وبالعكس هو شارع "هنانو" الحالي.

## شهادة الصيدلي السيد (لمع يوسف الياس)

السيد (لمع يوسف الياس) هو من مواليد قرية "الخريبات" عام 1949، لكنه وأهله من أقدم سكان حي الرمل بطرطوس فكان لي لقاء خاص معه بتاريخ 8 / 6 / 2022.

أخبرني السيد لمع أنه سكن الحي مع أهله بحكم كون والده منذ الخمسينيات صف ضابط في الثكنة العسكرية الموجودة على طرف الحي من الجهة الشمالية الشرقية وكان يهتم بزراعة الأشجار حول الثكنة كالسرو وما شابه وكان يوجه العساكر دوما بزراعتها وسقايتها.

في تلك الأيام كانت المساكن من منطقة المشبكة وحتى الثكنة قليلة جدا وعشوائية فلا توجد طرق دالة ومن الثكنة وحتى ضفاف نهر الغمقة جنوبا كان يوجد 3 بيوت فقط هي بيت أهلي أي "بيت أبو رعد" وبيت (سهيل بديع الدركي) وبيت (حسن عابد) ثم بدأ يتكاثر عدد القادمين إلى الحي ويتكاثر السكن. فأراضي الحي كانت من الثكنة شمالا وحتى نهر الغمقة جنوبا أغلبها نواعير زراعية مشجرة تتخللها في بعض الأماكن والفراغات بيوت متناثرة أما النواعير فكانت مملوكة ل "بيت عبيدو" ولبيت راعية ول "بيت منصور". فالبيوت كانت في أغلبها متناثرة خصوصا لجهة البحر في الغرب، وكانت المنطقة المنخفضة في قلب الحي تشكل مسيلا تصب فيه المياه في فصل الشتاء من مجرى بالقرب من فندق "كليو باترة" الحالي ويتشكل نهر يصب في البحر. وكان وجوده يشكل عائقا للحركة بين ضفتيه كما كان خطرا على الأطفال الذين يضطرون لعبوره فتم في مرحلة لاحقة صب هذا المسيل من مجراه الأول بالقرب من "كليو باترة" وحتى قربه من الشاطئ الرملي.

لذلك كانت طبيعة الأراضي رملية لكنها مغطاة بالأخضر خاصة حدود النواعير حيث كانت تزرع بالقصب الحلو "قصب مص" وكانت أعواد القصب تبدو باسقة لتحمي مزروعات النواعير من الداخل.

حي الرمل هو أول حركة توسع سكاني في طرطوس وإن كان على شكل عشوائي وأول فرن في الحارة هو الذي بناه والدي "أبو رعد" وسمي بهذا الاسم "فرن أبو رعد" وتم بناءه بالحجر الرملي واستمر بالعمل حتى نهاية العقد الأول من القرن الحالي 21.

عندما جاء والدي ليبني في حي الرمل قال عنه أهالي قرية الخربيات أن أبو رعد ذهب ليبني بين الحيوانات البرية، "جقلان وضـــباع".. إلخ" وهذا يدل على أن الســكن في حي الرمل في بداياته كان موحشـا وقاسـيا لدرجة كبيرة. فوالدتي كانت لا تجرؤ على السـكن في مسـكننا في الحي فكانت تنام عند أهلها في قريتهم، لأنه لم يكن عندنا بيت في "الخربيات"، حتى بدأ السكن يتكاثر في حي الرمل حيث جاءت وسكنت الحي.

أما أقدم ملاك الأراضي في حي الرمل فهم ملاكين كبار من طرطوس مسيحيين ومسلمين كبيت "الترجمان" و "بيت العبد ديب" و "بيت دانيال" و "بيت منصور" فوالدي أبو رعد اشترى من بيت دانيال.

ومن أقدم العائلات التي ســـكنت حي الرمل هو بيت أهل الدكتور (محمد ديب) من حمين الذي يقع على شــــارع الثورة الحالي وتتبع له مساحة أرض واسـعة. لكن من هذا البيت باتجاه الجلوب حتى نهر الغمقة كانت يوجد عدد قليل من بيوت تنك متناثرة. وكان يوجد خلف بيت أهل الدكتور (محمد ديب) أرض خلاء واســـعة كنا نلعب فيها كرة قدم، وكان بيتنا أي بيت أبو رعد وبالقرب منه "بيت الجاموس" وبيت (حســـن عابد) و "بيت البيروتي" و "بيت سهيل الدركي" و "بيت الشاتيلي" وبيت "كامل خلوف" منفرد حتى عام 1960، وكانت أرض البيت 6 أقســام وفيها بئر ماء ارتوازي موجود فيه سلم حديد درج من النزول فيه لجلب الماء.

ومن رجال الدين الأوائل في الحي كان الشـــيخ (محمد الحبروني) والشـيخ (احمد معلى) والشـيخ (عبد الكريم علي حســن) وكان لهم ثقلهم الاجتماعي في الحي بحيث يستطيعون من خلاله حل مشاكل الحارة عندما يطلب منهم ذلك. قبل "الحديث عن إحداث المخفر".

أصل بناء مدرسة المتنبي ل"بيت محرز" بنوه ثم سافروا إلى البرازيل وبقيت مستأجرة حتى اليوم.

أول الأفران في الحي هو فرن "أبو رعد" وفرن "بيت صـــقور" و "فرن بيت غالية" وفرن "بيت مصـــلح" و"فرن العصـــفوري". وكانت الأفران جميعها تعمل على إحراق مادة التمز داخل الفرن.

أما أول المتاجر التي صـــارت في الحارة فهو محل (محمود ســـلامة) ومحل (حسن عابد) ومن ثم في مرحلة لاحقة محل "كاسر أبو ملهل".

أما التنقل من المشبكة إلى الحي وداخل الحي فكان سيرا على الأقدام ولنقل الأغراض والحاجيات الكبيرة فكانت على الطنابر.

ويتذكر السيد لمع أن والده اشترى سيارة جيب "لاندروفر" قبل دخوله المدرسة واتفق مع سائق من قرية "خربة المعزة لبشغلها بين طرطوس وخربة المعزة.

وعن الأعمال التي يقوم بها رجال وأهالي الحي في البدايات فأغلبهم جاء من ريف القرى المجاورة لطرطوس وهم فقراء بالأصل، لكن بعد أن استقرت العائلات في الحي ذهب العدد الكبير من الرجال إلى لبنان حيث بقوا سنوات طويلة ومن تأثير ذلك على الحي المساهمة في توسيع إعماره باستمرار ومن تلك العائلات مثلا عائلة "بيت البيروتي" الكبيرة حيث يشير اسم الكنية فيها إلى التواجد المديد لبعض رجالها أو مؤسسها في بيروت بلبنان، وثمة عائلات أخرى عديدة غيرها كعائلات "زمرد" لكن يوجد عدد قليل مم الأشخاص المرتاحين ماديا منذ البداية وفتحوا مطاعم في المشبكة مثلا كمطعم "زهرة الشرق" لصاحبه أبو علي الجاموس ومطعم "المعواني".وأما الحرف فقد اشتغل بعض الرجال بحرف عديدة كالحدادة مثل بيت مصلح وبيت الشلوف وحتى قبل دخول الكهرباء إلى الحي ظهر شخص اسمه (أبو علي شدود) فكان أشهر من يعرف في الكهرباء في الحي والذي امتدت شهرته أحياء أخرى في طرطوس عموما. ثم بدأت تنتشر الدكاكين الصغيرة والمتوسطة.

وعن الشخصيات المؤثرة في الحي منذ البدايات ظهرت شخصية نسائية قوية بحكم منبتها ونسبها ومهمة جدا من حيث خدماتها العديدة لأبناء الحي ومساعدة الأخرين المحتاجين وكل من يدق باب بيتها، الأمر الذي أكسبها وجاهة اجتماعية محلية كبيرة، كانت مشهورة باسم (ثريا الرسلاني) أو (أم حسن ثريا).

ومن أوائل الشخصيات ذات الميول السياسي الواضح في الحي كان السيد (علي يونس) الذي كان ناصريا وبعد الانفصال عن الوحدة مع مصر سافر إلى مصر ثم عاد بعد فترة.

وفي نهاية اللقاء مع السيد (لمع الياس) أظهر حنينا كبيرا لأيام تلك البدايات في الحي حيث كان التلاقي الاجتماعي لأهالي الحي يوميا

وخصـوصـا في مناسـبات الأعياد الدينية الأمر الذي يسـتحيل اليوم بحكم التوسع العمراني والتضخم السكاني الكبير والمستمر في الحي.

وعن التعايش الاجتمـاعي في الحي المتعدد دينيا ومذهبيا في بداية نشوءه فقد ذكر السيد (لمع) والسيد (يونس مصلح)، الذي كان حاضرا معنا في اللقاء، أنموذجا فريدا في بداية السـيد (أبو رعد) الذي كان يتألف، آنذاك، من طابقين حيث كانت تسكن فيه 3 عائلات متعددة الانتماء الديني فصـاحب البناية (أبو رعد) مسـيحي ماروني وثلاثة عائلات أخرى مسـتأجرة الأولى مسـلمة سـنية أصـلها من الحفة والثانية مسـلمة علوية والثالثة مسـلمة إسـماعيلية وكانت هذه العائلات متجاورة مع بعضـها بكل رحابة وود.

## شهادة الأستاذ (محمد رحال) عضو مجلس مدينة طرطوس سابقا

الأســـتاذ محمد رحال من مواليد 1946 لذلك فهو وعائلته من أقدم سكان حي الرمل بالإضافة لكونه كان عضوا في مجلس مدينة طرطوس لدورات عديدة وكان مهتما وناشطا جدا في خدمة الصالح العام بشهادة كل من عرفه، لذلك التقيت به أكثر من مرة وأولها كانت بتاريخ 18 / 7 / 2022.

بدأ حديثه معي بداية بتذكر سنين مدرسته الابتدائية الأولى عندما كان يقصد المدرسة مع ستة أطفال من حي الرمل إلى المدرسة في حي الساحة بطرطوس.

ثم تابع حديثه عن الحي في أمور متعددة راســما لي في البداية حدود حي الرمل من الشمال إلى الجنوب فيقول: تبدأ حدود حي الرمل من جهة الشمال من الشارع الممتد من مطبعة "الزهراء" الحالية شرقا إلى مطعم "مشـــوار" غربا، حتى شـــارع الطلائع الحالي جنوبا. وحدوده من جهة الشرق "شارع الثورة وغربا الكورنيش البحري.

الحي منذ ذلك الوقت كان فيه أبنية قديمة وأبنية محدثة فعلى ســـبيل المثال كان حي الجامع قائم بكامله منذ الأربعينيات خصـــوصـــا تلك المواجهة لشـــاطئ البحر فهي مازالت محافظة على طبيعتها ونســـقها العمراني، طبعا. باستثناء "مشوار"

وعن أوائل العائلات التي ســـكنت فيها من جهة الشـــمال إلى الجنوب بيت "السـرجان أسـعد" الذي كان عريف في الجيش التركي أولا وأصـله من الدريكيش .و "بيت درغام" أصـــلهم أيضـــا من الدريكيش، ثم "بيت قميرة، الأصـل من جديدة البحر" ثم بيت (كامل الضـابط)، الأصـل من قرية "هرجين" وبيت (الحاج معلى) و بيت (الشيخ يونس معلى)' الأصل من "دحباش – بيت عليان" و "بيت صـبيحة" وإلى الخلف من هذا النسق أي لجهة الشرق كان يقع بيت (الشيخ محمود الخطيب)، الأصل من قرية "رأس الخشـوفة" يدل على ذلك ملكياته وبيت (آل معلى المعضـم)، وبيت يعود أصـل سـاكنيه من قرية "دوير السـيخ سـعد" كانوا يربون الغنم في الحي حتى بداية السبعينيات، وباتجاه الجنوب مقابل البحر أحدث في بداية الســـتينيات "فندق البحر" وخلفه يقع "بيت صـــبيحة" ثم "بيت بيلون" ثم

"بيت حمود" وخف هذا النسق من البيوت باتجاه الشرق بنيت بيوت سكنتها العائلات التالية: "بيت الأدمي" "بيت زغبور" و "بيت الضابط - شحادة الضابط وأخوه" وكل هذه البيوت قديمة، قبل الخمسينيات، وعن سبب هجرة هذه العائلات من قراها آنذاك ومجيئها يقول الأستاذ (محمد رحال) أنه ربما يكون كسب الرزق لأن قرى الريف يومها كانت فقيرة جدا بملكياتها، فالشيخ (محمود الخطيب) والسيد (كامل الضابط) كانا يعملان بمهنة كاتب في المحكمة "السرايا القديمة" ، وبيت الشيخ يونس معلى من عائلة رجال دين.

ثم بدأت تفد عائلات جديدة منذ الخمسينيات تبني وتسكن إلى الشرق من هذه البيوت مثل "بيت توفيق اليوسف" وبعض عائلات من قرية "حمين" والدكتور (عدنان محي الدين) نقل مشفاه من مكان في شارع الثورة بالقرب من "محطة فلسطين" إلى مكانه الحالي في الحي بلصق مسكنه، و "بيت عيسى الشاعر" من قرية "قرقفتي" مقابل بيت الشيخ محمود الخطيب، وحول الجامع من الجهة الغربية "بيت تفاحة" ثم "بيت الطويل".

هذه هي المنطقة التي سكنتها العائلات بداية في الحدود الشمالية لحي الرمل أو ما تسمى اليوم (حارة الجامع).

**أما ملكية الأراضي التي قامت عليها المساكن فكانت تعود حسب التالي:**

الشريط الساحلي المحاذي لشاطئ البحر، غربي الجامع وحتى المبنى السابق لفرع الحزب جنوبا فكانت ملكيته تعود للمطرانية المارونية لم يتم شراءه إلا بعد فترة طويلة وإنما تمت حالة وضع يد عليه، أما بقية الأراضي شرقي الشريط الساحلي من منطقة الجامع لجهة الشرق فكانت ل"بيت الضيعة". فالأرض عموما كانت ملكية للمطرانية المارونية من جهة وللعائلة المسيحية الأرثوذكسية "بيت الضيعة" من جهة ثانية حتى أن الأرض التي بني عليها المبنى السابق لفرع الحزب وتوابعه الخلفية من جهة الشرق ما تزال ملكيتها تعود للبطريركية المارونية ولم يحسم أمر استملاكها النهائي بعد.

وذكر لي الأستاذ محمد رحال أن المطران الماروني (بندلي) قصده في منزله يوما ما، عندما كان ممثل الحزب الشيوعي في مجلس المدينة

من أجل أن يتوسط الحزب الشيوعي مع قيادة البلد أيام الرئيس (حافظ الأسد) لحل مشكلة الأرض وشراءها لنقل ملكيتها، وفعلا تجاوب السيد الرئيس يومذاك مع الموضوع وشكلت لجنة لهذه الغاية لكن لم يتم الاتفاق على سعر مبيع الأرض وتولي المطران (يلدلي) وبموته مات أيضا الموضوع.

لكن قسم من الأراضي حول مبنى الفرع تم شراءها من قبل بعض الأشخاص وهؤلاء قاموا ببيعها مثل "بيت الضيعة" وغيرهم أيضا فالأرض التي قام عليها المبنى الخاص بنقابة المعلمين قسم كبير منه هو بالأصل للمطرانية المارونية لكن النقابة اشترته من أشخاص وجهات كانت هي اشترته من المطرانية المارونية مثل "بيت الحاج معلى"، وقسم أخر كانت ملكيته للبلدية، وقسم أخر كان يعتبر أملاكا بحرية.

أيضا يوجد حول هذا المبنى السابق لفرع الحزب من جهة الشمال والشرق تجمع سكني صغير وقديم يعود إنشائه لعام 1948 عندما بنت البلدية أنذاك عدة مساكن في مكان يعتبر ناء وبعيد عن المدينة ليسكن فيها العائلات التي ظهرت فيها إصابات مرض "السل" المعدي بقصد عزلهم عن سكان أحياء طرطوس القديمة آنذاك. لأن طبيعة تلك الأرض يومذاك من نقطة بناء هذه المساكن وحتى الجلوب كانت مساحة شاسعة من التلال الرملية مليئة بالقصب البحري وعشبة تسمى "دبدوب"، لدرجة إذا مشيت المسافة بين تلة وتلة فلن ترى شيئا خلف التلة التي وصلت إليها ولن يراك أحد. وكان يتواجد فيها أحيانا ضباع ويذكر الأستاذ محمد رحال أنه حتى عامي 1968 – 1969 عندما يعود متأخرا من عنده زميله في المدرسة حيث كان يراجع دروسه معه، كثيرا ما يرى في طريقه ضبعة تمر تقطع الشارع غير المعبد آنذاك ويتمالك أعصابه حتى يصل البيت. وكان من الطبيعي أن يتواجد بين القصب بعض الأفاعي، لكننا مع ذلك كنا نلعب في هذا الخلاء الرملي بين البيوت باستمرار ونحفر فيه العديد من الحفر للنعب فيها.

ويذكر الأستاذ محمد أيضا أنه في عام 1956 اتفق السيد (علي يونس معلا) مع السيد (رياض عبدالرزاق) أثناء ترشحهما سوية للانتخابات البرلمانية على وعد سكان حي الرمل آنذاك بتوصيل الكهرباء للحي لأن الكهرباء كانت موجودة فقط من حدود حي الرمل الشمالية التي ذكرتها

وحتى شمال المدينة مرورا بالمشبكة. وفعلا تم حفر الحفر من أجل نصب أعمدة الكهرباء عليها وأحضــــروا الأعمدة لكن انتهت الانتخابات ولم يتم تركيب الأعمدة بحيث صــــارت الأعمدة مجالا لنا للعب عليها كفتيان صــغار، ومن جهة أخرى صــارت عبئا علينا لأن كثرة اللعب عليها غالبا ما يكون مؤذيا لنا.

فـالكهرباء كمـا ذكرت كـانـت غير موجودة في الحي أبدا حتى عام 1963 رغم أن الكثير من الأبنية كانت قائمة بدءا من الحدود الشـــمالية للحي التي أشـرت إليها سـابقا وكانت نقطة العلام فيها هي فرن "الموعي" في منطقة قريبة من المســـيل الذي يصـــل البحر "بوظة جعارة" حاليا. فمنطقة الخلاء الوحيدة من السكن والتي كانت ملعبا حتى أواسط الستينات هي منطقة "اللحودية" حاليا والتي تبدأ من "الصيدلية العمالية" حتى الثكنة العســـكرية باتجاه الجنوب، حيث أن حركة الإعمار والســـكن في هذه المنطقة الخلاء "الملعب" بدأت منذ منتصـــف الســـتينات، لذلك ففي الليل كان الأهالي في كامل حي الرمل بلا كهرباء يســـتخدمون ضـــوء الكاز "الفتيل" وفي الشتاء كانت التدفئة على منقل "التمز".

أما التوسع العمراني في حي الرمل من الشمال باتجاه الجنوب فقد بدأ كما أشار الأستاذ محمد رحال متذكرا أنه في عام 1967 لم يكن يوجد إلا بيت واحد في حي الغمقة للسيد (صالح أحمد أبو سلام) من بحنين وكانت المسافة من الجنوب إلى الشمال أغلبها براري وكان طريق ترابي ضيق يصل الحي من مدرسة "اللاييك" حتى نهر الغمقة بخط مستقيم بعرض 3 أمتار، وهو نفس ما نطلق عليه اليوم اسم "العريض".

فالمنطقة الواســعة من ثانوية الشــهيد (غياث أحمد) الحالية وحتى نهر الغمقة جنوبا كانت أشـــبه بالخلاء تعود ملكيتها لبيت الحاج (محمد أحمد زين) من طرطوس وكانت عبارة عن بســـاتين ليمون فأول بيت فيها بناه شـــخص من قرية "بحنين" اســمه (صــالح صــالح) كان في المهجر وعاد وفتح محل إســكافي على الطريق الترابي ومع الزمن بنى بيتا بالقرب من الفرن الفني الحالي.

أما عن أسـلوب التوســع في حي الرمل من جهة الجنوب الذي بدأ منذ بداية الستينيات، كما حدثني الأستاذ (محمد رحال) فكان كيفيا وعشوائيا، حتى بدون شـــراء أراضـــي، فالأرض من منطقة تجمع العزل الســـكني

للمصابين بالسل آنذاك وحتى "ثانوية الشهيد جهاد أحمد الحالية" كانت عبارة عن منطقة خلاء رملي واسع تكثر فيه العشب الحرشي الكبير وأعواد القصب الطويل خارج البساتين وتعود ملكيتها للمطرانية المارونية. فكان كل قادم يحمل فأسه بيده ويبدأ برسم مخطط لبيته المفترض بجوار مباشر مع شخص آخر وبدون أي عقد شراء من المالك الأصلي، مما كان يولد منازعات ومشاكل عديدة بسبب عدم تفهمهم ضرورة ترك مساحات مرور أو "وجائب" بين البيوت فلم يكن لديهم ولو حد أدنى من تصور تنظيمي للسكن في الحي، وملكية المطرانية المارونية كانت تقع على الخط المجاور للشاطئ من مقر نقابة المعلمين الحالية وحتى نهر الغمقة جنوبا أما شرقي هذا الخط فكان أغلبه إما بساتين ونواعير أو أراضي خلاء تعود ملكيتها لآل "بيت ضيعة" من طرطوس الذين عملوا باكرا لملكياتهم مخطط فرز مقاسم بناء ليتم بيعها لمن يرغب وهذا ما تم فعلا بدءا من الحدود الجنوبية للثكنة حيث كان في أغلب الحالات، وتبعا للحالة المادية، يشترك شخصين أو أسرتان في شراء مقسم واحد بسبب عدم قدرة الشخص الواحد على شراء مقسم فيشترك مع آخر، ثم عند الفرز يتم تقسيمه بالتساوي بين الطرفين.

ومن الممكن أن يكون وجود الثكنة العسكرية في وقت سابق على تكوّن حي الرمل هو ما شد الوافدين الجدد على السكن في الحي والبدء بإعماره، طبعا إضافة لكل ما ذكر سابقا. وهنا يذكر الأستاذ محمد رحال أن أهله هم أول من بنى غرب الثكنة عام 1956 في الزاوية الغربية الجنوبية للثكنة.

وإضافة لذلك فإن وجود التجمع السكني المذكور سابقا والذي أنشأته البلدية عام 1948 لعزل المصابين بمرض السل خارج المدينة شجع الوافدين الجدد لحي الرمل على السكن فيه وإعماره منذ أوائل الخمسينيات لكن بداية الانتشار السكاني الكثيف للوافدين في حي الرمل بدأ في الستينيات وخصوصا منذ منتصف الستينيات فأغلب الوافدين أصلهم ريفي حيث هجروا قراهم بسبب قلة الموارد فيها والبحث عن مصادر كسب عيش جديدة في طرطوس خصوصا أن العمل في إنشاء مرفأ طرطوس كان قد بدأ منذ عام 1960، وكان يحتاج لأيدي عاملة كثيرة فصار يجذب أعداد متزايدة من هؤلاء الوافدين الجدد الذين هجروا العمل الزراعي بموارده الشحيحة آنذاك لصالح العمل في المرفأ والمدينة عموما. فبدأ

التوسع السكني جنوبا باتجاه حي الغمقة بعد أن كانت المنطقة من الثكنة العسكرية وحتى نهر الغمقة جنوبا أشبه ببرية تسكنها الوحوش. باستثناء ثلاثة نواعير زراعية تعود ملكيتها 2 لبيت الحاج (محمد أحمد زين) من طرطوس وناعورة واحدة ربما تعود ملكيتها لبيت الضيعة لكونها كانت موجودة ضمن الأراضي التي يملكونها آنذاك، وكان يوجد ناعورة تعود ملكيتها لبيت (العبد ديب) وهي عبارة عن بستان ليمون وبعض أشجار التين.

### مصدر العيش لسكان الحي في البدايات

فمصدر العيش لسكان الحي الأوائل كان يعتمد بداية على العمل في هذه النواعير أيدي عاملة وفي حفريات الأبنية لبيوت السكن للوافدين الجدد إلى الحي، فالتجارة ضمن الحي كانت شبه معدومة وكانت تعتمد على التسوق من سوق المدينة، وأيضا لم يكن يوجد دوائر حكومية في كل طرطوس إلا مبنى السرايا القديم حيث كان يعمل فيها الشيخ (محمود رمضان) "كاتب" والشيخ (علي رمضان) و أ(بو جابر) من حمين وأخيه (محمد عبد الرحيم) "أبو غياث". وهؤلاء هم كانوا أوائل الموظفين في دوائر حكومية من حي الرمل. وكان يتم تأمين الخضار من البساتين والنواعير ضمن مجال الحي الناشئ أما بقية المواد كالسكر والرز والملح وما شابه فكان يتم تأمينها من سوق المشبكة.

أول من فتح دكان سمانة في الحي غرب جنوب الثكنة وشرقي المساكن الشعبية الحالية هو السيد (علي شما) من حمين في أوائل الستينيات وما زال دكانه قائما حتى اليوم ثم فتح دكان السيد (علي محسن) مقابل بيت الدرسنلي لكن الدكان ألغي نهائيا بعد وفاة صاحبه، ثم لجهة الجنوب قليلا دكان (أبو غازي) الذي تحول لاحقا لكافتيريا، وكان يوجد أيضا في نفس المنطقة دكان متواضع للشيخ (عبود ديب) أبو منير من حمين، ثم فيما بعد فتحت دكاكين جنوبا قرب محفر شرطة الرمل مثل دكان (محمود سلامة) ودكان (كاسر) ودكان (الحميني) وبعد ذلك بدأت تتكاثر الدكاكين في الحي.

أما بداية إحداث المدارس في الحي فأول مدرسة أحدثت في الحي هي مدرسة (المتنبي) عام 1961 التي تم نقلها من حي الساحة إلى حي الرمل وتم استئجار مقر لها هو نفس مقر الجيش الشعبي حاليا حيث كان أمامها

متسع كبير من الأرض عبارة عن كرم تين كبير تحول فيما بعد إلى ملعب واسع وساحة تدريب لعساكر الثكنة العسكرية. هي ما يسمى اليوم "حي الملجأ" في الرمل، وكان يحد الساحة من جهة الشرق بيت الشيخ (علي عبد الكريم) من حمين كأول بيت كبير بني في هذه المنطقة من حي الرمل ورغم هدم البناء منذ سنين ما زالت أرض البناء الفسيحة الواقعة بمحاذاة شارع الثورة اليوم تعود ملكيتها لورثة الشيخ (علي عبد الكريم). وكان يقابل هذا البيت من جهة الشرق حيث يفصل بينهما اليوم شارع الثورة بيت قديم مبني بالحجر الرملي ما زالت بقاياه موجودة حتى اليوم تعود ملكيته لبيت (مصطفى زهير) أصحاب الناعورة الممتدة شرقا إلى شارع الكورنيش الشرقي الحالي.

وأقدم شارع في حي الرمل هو شارع هنانو الشارع الرئيسي في الرمل، وقد تم تزفيته على مراحل بحيث أن أول مرحلة كانت المسافة الممتدة فيه من بيت الموعي شمالا وحتى بيت (علي يونس معلى) و "بيت حمصية" جنوبا عام 1963 ثم تتابع تزفيت الشارع بعد ذلك.

كان أهالي الحي يحفرون بئرا ارتوازيا مع كل بيت يتم بناؤه من أجل تأمين مصدر مياه وكان هناك عمال في الحي تخصصوا بهذا العمل حيث كانوا يحفرون حتى عمق 12 متر حتى تظهر المياه قوية بغزاره وكان عملهم هذا مليء بالمخاطر لكون التربة رملية ومهددة بالانهدام في أية لحظة، وعند الانتهاء من حفر البئر يتم تعمير جدرانه بحجر رملي ثم توضخ مضخة "طرنبة" لرفع المياه عند الحاجة طبعا ثم إحكام إغلاق سقف البئر.

وبدءا من عام 1965 بدأ مشروع تمديد شبكة مياه نظامية للحي من قبل البلدية عبر الشارع الرئيسي الذي أكملت البلدية تزفيته بعد ذلك باتجاه الجنوب. ومصدر المياه كان بئر الحاووز الكبير على مرتفع يقع شرق شمال مدينة طرطوس يسمى اليوم "حي الحاووز"، وبعد ذلك تم حفر آبار في قرية جديتة وبدأت تغذية المدينة منها بمياه الشرب. ثم تمت تغذية الحي بالكهرباء من معمل توليد الكهرباء القديم الموجود في مكان وبناء مؤسسة الكهرباء الحالية.

ومن أوائل السيارات التي دخلت حي الرمل سيارة (علي يونس معلى) وهي تاكسي وسيارة "بيت زريق" وهي أيضا تاكسي. أما الشاحنات

الكبيرة نسبيا فكانت التالية شاحنة (معلى الضابط" وشاحنة (حسن الضابط) حيث كانا يعملان في استثمار هاتان الشاحنتان في نقل حجارة البناء من منطقة "عمريت"، ومواد البناء الأخرى لمن يرغب في الحي، ثم بعد ذلك شاحنة "بيت الديك" ثم شاحنة "بيت زيدان".

فكل البيوت القديمة في حي الرمل كانت حجارتها من منطقة عمريت الأثرية جنوب طرطوس حيث كانت توجد تلال من الصخور الرملية الضخمة وكان هناك عمال مختصون بتقطيع هذه الصخور وتشذيبها ومن ثم بيعها ونقلها للبناء في الحي بل وفي طرطوس.

وقبل وجود السيارات الشاحنة هذه كان يتم نقل الحجارة الرملية من منطقة عمريت على الطنابر التي كانت تجرها بغال قوية، أما بقية مواد البناء الأخرى كالرمل والبحص فكان يتم إحضارها على ظهور الحمير من شاطئ البحر القريب جدا من الحي خصوصا أنه كان في كل صباح يقذف البحر كميات كبيرة من البحص على الشاطئ. وأشهر من كان يقوم بهذه المهمة شخص من "بيت الحصيني" وشخص من "بيت القعود" وشخص من "بيت عدبا" وشخص من "بيت الضابط".

بالمقابل كانت تتم رحلة جماعية تستمر طويلا لعائلات بكاملها في ذلك الوقت لبعض سكان الحي وطرطوس تبدأ أوائل فصل الشتاء كل عام إلى "نهر الأبرش" في منطقة قرب الحدود مع لبنان تقع بين الحميدية وعرب الشاطئ ويمر بقرية "تل سنون"، حيث يتم تجميع كميات كبيرة من حبيبات بحص خفيفة من ضفافه يسمى "الفواش" لإضافته على جبلة صب حجر "الباطون" الإسمنت، وكانت الحجرة خفيفة، فكانوا يبيعونها إلى تجار في نفس المكان والتجار بدورهم ينقلونها إلى الحي وطرطوس، لكن غير معروف حتى اليوم لماذا كانوا يختارون بداية فصل الشتاء. واستمر الأمر كذلك طيلة فترة الخمسينات والستينات حيث كانت تستخدم حجرة الفواش هذه في بناء الجدران الداخلية أما الجدران الخارجية فكانت رملية بالكامل لذلك كانت الأبنية بدون أعمدة وذات طابق واحد. بعد ذلك تم التخلي عن بحصة "الفواش" هذه لصالح حجرة صب جديدة سميت حجرة "العدسة السودة" وكانت مليئة بالكامل أقوى وأمتن.

وبدءا من منتصف الستينيات بدأت تنتشر بكثرة معامل الحجر "البلوك" للبناء الخارجي وصار البناء يحتاج لأعمدة إسمنتية داخلية

وخارجية فبدأ بذلك نمط البناء الإســمنتي الحديث في الحي وأبنية ذات طابقين.

### الرجال المؤثرين في الحي يومذاك:

ومن رجال الدين المحترمين الذين ظهروا في حي الرمل منذ بداية تأسيسه وحتى منتصف السبعينيات نذكر الشيخ (محمد العلي) أصله من قرية "العنابية" والشيخ (عبد الكريم الخطيب) أصله من قرية "الملاجة" وكان إماما لجامع الإمام علي بن أبي طالب فترة طويلة من الزمن. والشيخ (أحمد معلى) أصله من قرية "بيت عليان" والشيخ (علي عبد الكريم) أصله من قرية "حمين".

أما من حيث الوجاهة الاجتماعية الصحيحة والمقدرة المادية فكان السيد (حسن الضابط) فقط، فعلى سبيل المثال كان يجتمع عنده عدد كبير من الأشخاص في منزله بعد صلاة عيد الأضحى أو الفطر يبادلونه المعايدة ثم ينطلقون في موكب جماعي يكون هو في مقدمته بحيث يمر الموكب على كل بيت لمعايدته، والعائلة الفقيرة يعايدها بمبلغ نقدي. بقيت هذه العادة في الحي حتى بلغ هو سن الشيخوخة.

تلك هي فقط كانت أهم الشخصيات المؤثرة في حي الرمل آنذاك روحيا وزمنيا لأن أغلب سكان حي الرمل يومذاك كانوا فقراء هجروا قراهم في الريف الجبلي قاصدين المدينة للبحث عن لقمة العيش بكدهم وعملهم اليومي.

لكن من حيث قوة الشكيمة ومناصرة الحق وحسم المشاكل كان ثمة أشخاص يعتمد عليهم مثل (عزيز السكاف) و(محمد عدبا) و (محمد الجرف).

ومن أهم الشخصيات الطريفة أو المجنونة كما يسميها البعض، والتي ظهرت في الحي هي (حامد الشماميس) وشخص أخر نسيت أسمه كان مشهورا بإطلاق الحكم, وإمرأة أصلها من بحنين كانت تسمي نفسها "أخت الشمس".

**لقاء ثان مع الأستاذ محمد رحال عضو مجلس مدينة طرطوس السابق بتاريخ 8 / 12 / 2022.**

وعن سؤال حول متى وكيف بدأ حي الرمل يأخذ شكل حي متجاوزا التشتت السكني العشوائي في البداية قال الأستاذ محمد:

يبدأ حي الرمل من الشمال إلى الجنوب من شارع "مطعم مشوار" الحالي غربا قرب البحر و"مكتبة الزهور" شرقا، حتى موقع "مستوصف الرمل" الحالي جنوبا. أما المنطقة التي تقع جنوب المستوصف فيتبع حاليا لحي الغمقة الغربية.

في البداية كانت تسكن منطقة الرمل منذ أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات عائلات في بيوت صغيرة متفرقة نزحت من قرى الجبال المحاذية شرقا باتجاه الساحل والمدينة بحثا عن مصدر عيش بسبب الفقر وقلة الموارد في البيئة الريفية الجبلية التي كانوا فيها، فغرب الشارع العريض الحالي على طوله لم يكن يوجد ولا بيت أبدا، وإنما عبارة عن تلال رملية وقصب بحري وما شابه، حيث كان بمستطاع من يقف قرب مدرسة "اللاييك" وهو ينظر باتجاه الجنوب أن يرى الأرض الخلاء أمامه حتى نهر الغمقة.

لكن فيما بعد منذ بداية الستينيات بدأت تتكاثر الهجرة من الريف إلى المدينة حيث كان القادمون يشترون الأراضي ويبنون أو يستأجرون حتى عام 1967 عندما اكتملت ملامح حي الرمل وبدأت تتشكل أحياء نظامية بشوارع وساحات، فباستثناء قسم من الغمقة الذي كان بساتين ليمون وأراضٍ زراعية خضار وفواكه حتى مكان الفرن الفني الحالي وحتى شارع الثورة الحالي شرقا، أيضا كان بساتين كما ذكرت. فهذه المنطقة لم تبنى حتى منتصف الستينيات.

وبذلك كانت البداية بتشكل أحياء نظامية وشوارع وساحات كونت الملامح الأولى لحي الرمل الحالي، وبالمناسبة فإن الذي ساعد وشجع على ذلك هو ملاكي الأراضي الذين فرزوا ملكياتهم من الأراضي بدون وجود مخطط تنظيمي من جهة رسمية وصاروا يبيعونها على أساس هذا الفرز لمن يرغب. كالحج (محمد أحمد زين) مثلا كانت تنتصف أملاكه مكان الشارع العريض الحالي، أي شارع طارق بن زياد، في منطقة

الغمقة الغربية من شـــارع الثورة شـــرقا وحتى البحر غربا بما فيه مكان "المقبرة القديمة" في حي الرمل.

لأنه قبل ذلك كان الوافدين الجد للمكان يقومون ببناء منازلهم التي استولوا عليها عشوائيا بشكل متلاصق لا يترك حيزا ولو ضيقا للمرور بين البيوت" " كل يختار موقع بناء بيته وفق ما يريد دون أن يلحظ حق الأخر بالمرور خصوصا في المنطقة الغربية التي تقع ما بين فندق البحر وحتى "اللابيك" التي كانت وما زالت ملكيتها تعود للمطرانية المارونية. لذلك عندما تفاقم الوضع وبدأ السكان بالتشاجر حول أحقية المرور تدخلت الدولـة أنـذاك لتنظيم الأمر، مع ذلك بقيت بعض البيوت في شـــكلها العشـــوائي القديم وما تزال باقية حتى اليوم مع بعض التعديلات الطفيفة عليها كالبيوت التي تقع جنوب شـــرق مبنى "إتحاد الفلاحين الســـابق" وشـــرقي المبنى الســـابق لفرع حزب البعث على الكورنيش والتي بنيت بداية على شكل أقبية وما تزال إشكالية ملكية الأرض الواسعة فيها التي تعود للمطرانية المارونية بدون حل. طبعا باستثناء موقع المساكن التي تم نقل بعض عائلات طرطوس القديمة المصابين بالسل من حي الخندق في حي الساحة إليها عام 1948 حيث قامت البلدية ببناء مساكن خاصـة لهم أنذاك فكانوا أول من سكن حي الرمل كونه يعتبر أنذاك منطقة رملية على مد النظر نائية بالنسبة لمركز طرطوس القديمة أنذاك. ومن يسـكنها كأنه في منفى بعيد.

أما لجهة شرقي "الشارع العريض" الحالي حتى حدود "شارع الثورة" فالشـــريط على جانبي شـــارع الثورة هو شـــريط قديم ويتفرع عنه باتجاه الغرب طرفي مســـيل مائي متعرج من شـــرقي فندق "كليو باترا" حتى البحر وبقي على حاله حتى عام 1977 عندما حدث طوفان طرطوس المشـهور نتيجة أمطار غزيرة جدا في شـهر حزيران من نفس العام حيث كان يوجد على طرفيه الكثير من البيوت التي انعكس الطوفان عليها سـلبا وتخريبا، فقامت الدولة بعد هذا الفيضان بتهذيب هذا المسيل وسقفته حتى البحر.

وتوجد حارة قديمة أيضـا شـرقي الشـارع العريض لجهة الجنوب من هذا المســـيل الذي كان يوجد فيه مخفر شـــرطة الرمل القديم وبيت (جبل سـليم) وهي حارة شبه مستقرة في توزيع بيوتها وشـوارعها حتى اليوم،

بمعنى أنه لا يوجد فيها فراغات يمكن البناء فيها ويغير من مخطط السكن فيها رغم أن قدم البيوت في هذه المنطقة يأتي في المرتبة الثانية من حيث القدم والاستقرار بعد حي الجامع، وتمتد البيوت فيها التي بدأت بيوتها تظهر منذ قبل بداية الخمسينيات من جهة الشرق حتى فندق "كليو باترا" ومن جهة الجنوب حتى ما قبل شارع "الطلائع" الحالي بمسافة 100 متر تقريبا، لذلك فالمساكن فيها منذ البداية كانت تعتبر منظمة ضمن التنظيم البلدي.

أما شارع "الطلائع" فقد قسم عند إحداثه بستان الحاج (محمد أحمد زين) أكثر من قسم بحيث أن منتصفه الشمالي صار "شارع الطلائع" نفسه، أما من بيت (حسين مصطفى سعد) وإلى الجنوب فكان بساتين للحج (محمد أحمد زين) ولبيت "العبد ديب" صاحب كراج "الاعتماد" السابق في المشبكة، الذي كانت تقع ملكية بستانه من مكان "فروج أبو علي" الأول الواقع على شارع الثورة شرقا وحتى الشارع العريض الحالي غربا، ويمتد شرقا حتى شارع "بن بركة" قرب ""دوار عزالدين" الحالي ويمتد جنوبا حتى التماس مع بستان "الحاج زين" الذي يأخذ بدوره شريط نهر الغمقة بكامله من الشرق حتى البحر غربا . فكل البساتين كانت تنتهي حدودها شرقا في "شارع الثورة" الحالي، أما شرقي شارع الثورة فكانت الملكيات تعود "لبيت منصور" وتمتد حتى منطقة الرادار، فالأراضي الممتدة من ما قبل الصيدلية العمالية الحالية شمالا وحتى الثكنة العسكرية جنوبا وشارع الرمل الرئيسي "هنانو" غربا وشارع الثورة شرقا، والتي تسمى اليوم "حي اللحودية" كانت ملكيتها تعود "لبيت الضيعة" الذين ماتزال الكثير من بيوتهم فيها.

أما شارع الرمل القديم المسمى اليوم شارع "هنانو" فقد كان قبل تزفيته في بداية الستينيات من القرن العشرين شارع رملي تحيط به على طرفيه بعض البيوت التي كانت تبنى أنذاك، وكان حرم الثكنة المجاور له من جهة الشرق محاط بأسلاك شائكة تصل حتى فرن الدرسنلي اليوم لذلك كانت بعض البيوت هناك تقع في منطقة حرم الثكنة، لكن بعد أن رسمت الثكنة حدودها النظامية بحائط البلوك الذي يحيط بها خرجت تلك البيوت من إطار حرم الثكنة ثم بدأت تتكاثر البيوت في المنطقة الشاغرة قرب الثكنة وحواليها منذ العام 1965 تقريبا من جهتي الجنوب حيث يقع فرن "الدرسنلي"، والشمال حيث كان يقع مدخل الثكنة الجنوبي الذي يمتد

إلى "شـارع الثورة الذي يحد الثكنة من جهة الشـرق. وصـار يحدها من جهة الغرب شـارع "هنانو" الذي تقع على طرفه الغربي بيوت بنيت منذ أوائل خمسـينيات القرن العشـرين فعلى سـبيل المثال بيت "آل رحال" تم بناءه في 1954، وبيت (أحمد ناصـر) وبيت (فاطمة عبد الرحيم) كذلك، تم بناءهما في نفس الفترة الزمنية على أرض كانت ملكيتها تعود لبيت الضـيعة. أما غربي هذه البيوت لجهة حي الجامع فكان منطقة خلاء يتم استخدامها كمركز تدريب عسكري تابع للثكنة وكان يتموضـع فيها بعض الأليات العسـكرية الثقيلة كالدبابات. وكان ثمة منطقة خلاء واسـعة أخرى تقع جنوب شـرق الثكنة تصـل حدودها شـرقا حتى بيت الشـيخ (علي عبد الكريم) المطلة واجهته آنذاك على شـارع الثورة الحالي، والذي يفصـل بينه وبين الثكنة "كرم التين" الذي كان يسـتثمره "بيت الكرتاوي" وكان يوجد فيه شـجرة - دبقاية كبيرة جدا لدرجة كانت الناس تتفيأ في ظلها. كانت هذه المنطقة أشـيع بملعب كبير تسـتخدم أيضـا كمركز تدريب عسكري.

وهكذا فمنطقة اللحودية التابعة لبيت "الضـيعة" سـابقا كانت حدودها كالتالي من الجنوب الثكنة العسـكرية ومن الغرب البيوت التي أشـرنا إليها مع سـاحة تدريب عسـكري صـارت لاحقا حارة "الجامع" التي يحدها من جهة الجنوب لجهة البحر أراض كانت تابعة للمطرانية المارونية حيث مقر بناء فرع "حزب البعث" ومسـاكن المهجرين القدماء من حي السـاحة بسـبب المرض، فكانت هذه الأراضـي منطقة رملية كثيفة وفيها ينبت القصـب البحري ونبتة شـائكة كروية الشـكل كانت تسـمى "البلوب" وفي حال قطفها ينز منها قطرات سـائلة بيضـاء كالحليب. وكان يوجد "تنور" على مدخل مدرسة "الحمداني – الثانوية الصناعية سابقا" بالقرب من مقر فرع الحزب لامرأة تسـمى "أم يحي يوسـف" وكانت تخبز عليه. فالمنطقة الواقعة غربي الشارع العريض الممتدة بين هذا المكان شمالا، أي مدرسة "الحمداني" حاليا حتى ثانوية "غياث أحمد سـابقا – رجب صـالح حاليا" كانت منطقة رملية كثيفة أي عبارة عن "تعوس رمول" لا يوجد فيها أي سـكن ولم تكن بسـتان مثمر يملكه أحد. فمنطقة البسـاتين المثمرة القريبة على البحر تبدأ من هذا المكان أي "ثانوية غياث أحمد" باتجاه الجنوب حتى نهر الغمقة وشـرقا حتى شـارع الثورة الحالي وكانت ملكية أغلبها تعود "للحاج محمد أحمد زين " الذي كان جد رئيس مجلس المدينة الأسبق

(محمود حاج فتوح) لجهة والدته، حيث كان يتم زرعها بخضـــار مختلفة وتوجد فيها أشـــجار البرتقال والليمون، أما الخط البحري غرب هذه البســـاتين الذي يمر بمقبرة الرمل القديمة حتى نهر الغمقة فلم يكن ملكا لأحد.

أما من الثكنة العســـكرية باتجاه الجنوب فكان كرم التين الذي مر معنا ذكره ســابقا ثم الملعب الواسـع الذي كانت الثكنة تستخدمه أيضـا كمركز تدريب عســكري ثم تبدأ منطقة ســكن عشـوائي تنتهي عند حدود بســاتين ذكرناها ســـابقا أولها تعود ملكيته ل "العبد ديب" تقع بين شـــارع الثورة الحالي شـــرقا من نقطة محل "فروج أبو علي" القديم ومكتب "بولمان الأهلية" وحتى شـــارع بن بركة - دوار عزالدين" الحالي جنوبا وحتى حدود "الشـارع العريض" قرب "مستوصـف الرمل" الحالي غربا أي أن منطقة بســاتين "العبد ديب هذه التي كانت حدودها الشـمالية الشـرقية تقع عند مقر سكنه يومذاك، كانت بالإجمال تقع شرقي منطقة البساتين الغربية للحاج "زين". الذي كانت بســـاتينه تحيط بها غربا وجنوبا وشـــرقا. ثم تحولت أراضـــي هذه البســاتين مع مرور الوقت مناطق ســكنية بعد أن تم فرزهـا إلى عقـارات ســـكنيـة وفق مخطط تنظيمي من قبـل ملاكهـا المذكورين، ثم أخذت هذه المنطقة من الثكنة شـــمالا وحتى نهر الغمقة جنوبا تتوسع عمرانيا وتنتظم وفق مخطط سكني بإشراف البلدية.

لذلك يمكن القول أن حدود حي الرمل حاليا تبدأ من الشـــمال إلى الجنوب، من مطعم مشوار غربا إلى شارع الثورة شرقا، وحتى "شارع وحديقة الطلائع" جنوبا، ومن شـــارع الثورة شـــرقا وحتى الكورنيش البحري غربا.

أما حي الغمقة الذي يقع بين حديقة الطلائع شـــرقا وغربا حتى نهر الغمقة جنوبا فلم يكن تابعا لحي الرمل منذ بداية تشـــكله لكن مع بداية السـكن فيه صــار يأخذ اســما مســتقلا ســمي ب "حي الغمقة" تيمنا بنهر الغمقة الذي ينبع مجراه الرئيســـي من جبال صـــافيتا ليصـــب في شـــاطئ البحر جنوب طرطوس، بحيث تقع أغلب بيوت حي الغمقة على ضـــفته الشـمالية من الشـرق إلى الغرب لذلك تم تقسـيمه لاحقا بعد تكاثر السـكن على ضـفته هذه من الشـرق إلى الغرب إلى حيين متجاورين أحدهما حي الغمقة الشرقية والثاني حي الغمقة الغربي.

أما المنطقة التي تحد حي الرمل شـــرقا أي من شـــارع الثورة، من الشمال إلى الجنوب، فكانت بداية إما بساتين مملوكة أو أراضي بور كحي "القدير" الذي يقع شـــرقي فندق "كليو باترا" الحالي شـــمالا وحتى مدخل شـارع الطلائع جنوبا، الذي كان أغلبه أراضـــي صـــخرية يمر فيه مسيل مائي شتوي يصب في البحر عندما يمتلئ في الشتاء ويمر في منتصف حي الرمل. وكان يوجد شمالي هذا الحي أراضي بساتين مملوكة من قبل (بدر المرقبي) من المســـيل المذكور وحتى حدود ناعورة "العبد ديب" وإلى الشرق منها كانت منطقة أخرى من جهة تابعة لبيت (نقولا منصور) بحيث تصل حدودها حتى "الكورنيش الشـرقي" الحالي، وأيضـا شـرقي التكنة كانت توجد بســاتين بقيت موجودة حتى عام 1967 وكان أول من بنى مسكنا وسط هذه البساتين الصيدلي (أصف المليم) و (إبراهيم النجار) من قرية "الرويســة" الذي كان يبيع الخضــرة على عربة جوالة، وكانت تسمى هذه البساتين "بستان حوا" ويقع شرقي التكنة مباشرة وبستان لوالد الدكتور (أمين أبو عبيد) وبستان (مصـطفى زهير) وبسـتان "بيت الشـيخ يوسف" وكل منطقة البسـاتين هذه تقع شمال "شـارع اسكندرون – قرب أمن الدولة" الذي توجد على حدوده الشـمالية بتماس مباشـر ناعورة "بيت الشــيخ يوســف" وبقربها تماما كانت ناعورة (مصــطفى زهير) حيث ما يزال أثر من بيوت هذه الناعورة قائما ويمكن التعرف عليه من أحجاره الرملية الباقية حتى اليوم، قرب محلات "كهرباء آسيا" حاليا، بمقابل مكان بيت "الشيخ علي عبد الكريم" حيث يفصل بينهما شارع الثورة.

تلك كانت خريطة الملكيات قبل نشــوء وتكون "حي الرمل" وعندما بدأ نزوح أهالي الريف هربا من الضـــيق والفقر إلى هذا المكان القريب من المدينة القديمة بحثا عن العمل في مكان أرحب وأوســـع وقد تتوفر فيه فرص عمل أكثر من الريف، فتكاثرت حركة البناء والسكن فيه منذ أواخر خمســينيات القرن العشــرين وازدادت أكثر مع بداية العمل بإنشـــاء مرفأ طرطوس أوائل ســتينيات القرن العشـرين، فصــار أصــحاب الأراضـــي والبســاتين يقومون بفرز ملكياتهم إلى مقاســم خاصــة بالبناء وبيعها لمن يرغب.

ثم يتابع ويقول إن أقدم حارة في حي الرمل من حيث السكن هي حارة الجامع"[5]" ثم تاليا بالقرب منها حارة الثكنة من جهة غرب جنوب حيث يوجد اليوم متجر المؤسسة الاستهلاكية ومؤسسة المياه وفرن الدرمنلي، ثم حارة الرمل الأوسط حيث كان يوجد مخفر شرطة حي الرمل سابقا ومن أقدم البيوت فيها بيت (أبو رعد) من قرية الخريبات الذي أنشأ أحد أقدم أفران الخبز في حي الرمل، وبيت "زريق" وبيت (بديع الدركي) وبيت (محمود الجاموس) أبو علي، ثم يأتي تاليا حارة الرمل الغربي القريبة من البحر جنوب غرب ثانوية الشهيد (غياث أحمد – رجب صالح حاليا) وتمتد حتى شارع الطلائع الحالي، حدود حي الغمقة، التي بدأ السكن فيها أوائل الستينيات، وهذه الحارات الثلاثة الأخيرة لم يبدأ البناء فيها عشوائيا وإنما تم تنظيمها من قبل أصحاب الأراضي الذين قاموا بفرز أراضيهم إلى مقاسم للسكن ومن ثم بيعها لمن يرغب، لذلك تبدو شوارعها ثابتة وتشبه بعضها. ويعطي الأستاذ (رحال) مثالا واقعيا من منزل أهله الذي يقع غرب الثكنة فيقول إن المالك من "بيت الضيعة" الذي باعهم الأرض اشترط عليهم وعلى جيرانهم أن تترك كل جهة مقدار متر ونصف بين البيتين الجارين غم أن هذه المساحة مدفوعة الثمن من أصل المقسم ككل وذلك لتسهيل حركة المرور بين البيوت وحق الوصول لمقاسم أخرى مفروزة وجاهزة للبيع والبناء.

أما بالنسبة لحي الغمقة فأول من بنى سكنا فيها أوائل ستينيات القرن العشرين شخص يدعى "أبو سلام" من قرية بحنين وبعده شخص أخر يدعى (صالح إسماعيل) وما تزال بيوتهما موجودة حتى اليوم لأولادهما. فهما أول من سكن الغمقة في مكان يقع غربي الشارع العريض[6] الحالي، ومنذ ذلك الوقت بدأ السكن يتكاثر في هذا الحي الجديد الذي ينتهي إليه الشارع العريض، وكانت ملكية أراضي حي الغمقة بمجملها تعود "للحاج زين" حيث فرزها إلى مقاسم ذات قياس واحد وباعها لذلك تبدو شوارعها

---

5 -: طبعا تم بناء الجامع بعد إنشاء الحي بسنين والتسمية أتت لاحقا بعد بناء الجامع.

أيضــا بعرض واحد، وهكذا بدأ يتشــكل الحي ويكبر على الضــفة الغربية لنهر الغمقة غربا وشرقا.

أقدم شــارع في الحي هو شــارع هنانو الذي هو امتداد لشــارع هنانو الرئيسي الذي كان يخترق مدينة طرطوس من الشمال، منطقة الصالحية، إلى الجنوب حيث كانت نهايته في البداية عند الجسر غربي عيادة الدكتور (حسن الحسن) وشرقي مطعم مشوار بحوالي 100 متر ومن هذه النقطة المتقاطعة مع تفريعة الشارع الذي ينتهي إلى البحر عند مشوار يبدأ امتداد شــارع هنانو في حي الرمل باتجاه الجنوب حتى نهاية الســكن في منطقة الرمل الأوســط حيث اصــطدم امتداد هذا الشــارع بمنطقة البســاتين آنذاك التي صــار فيها فيما بعد بيوت ســكن ومســتوصــف حي الرمل. وتأخر تزفيت هذا الشــارع حتى أوائل الستينيات، لذلك يمكن اعتبار هذا الشارع هو الناظم أو الرابط لحي الرمل وحاراته قبل وجود الشـــارع العريض، فمنه نشـــأت عدة تفريعات غربا وشـــرقا نظمت العمران المتواتر فيه ورسمت للسكن فيه شكل الحي الكبير حتى أوائل السبعينيات ومن نهايته في النقطة التي ذكرناها توجد تفريعة تبدأ شــرقا من شــارع الثورة وتنتهي غربا على كورنيش البحر لكنها تتقاطع في المنتصـــف مع الشـــارع العريض الذي يخترق حي الرمل من حي الجامع حتى حي الغمقة وصــار يلعب منذ إنشائه دور الناظم أو الرابط الجديد لحي الرمل بالكامل.

فحي الرمل منذ اكتملت ملامحه الجغرافية ديمغرافيا وعمرانيا في ســبعينيات القرن العشــرين صــار يحده شــرقا "شــارع الثورة" وغربا "كورنيش البحر" ويخترقه طولانيا من الشـــمال إلى الجنوب شـــارعان رئيســيان هما "شــارع هنانو" و"الشــارع العريض" وشــارع ثالث محدث إلى الشرق من هذين الشارعين يبدأ من الثكنة وينتهي بشارع الطلائع مع تفرعات عديدة لهذه الشوارع الثلاث أطولها يبدأ من الشرق حيث شارع الثورة إلى الغرب حيث كورنيش البحر وبعضـــها داخلي يربط الحارات بعضها البعض..

ومن الشــخصــيات الطريفة في الحارة شــخصــية (حامد الشــماميس) وشخص آخر اسمه (خضر) اختفى باكرا ولم نسمع عنه شيئا.

### اوائل المتعلمين في حي الرمل

يحكي الأستاذ (محمد رحال) من تجربته الشخصية مستعينا بذاكرته البعيدة نسبيا أنه منذ عام 1952 وحتى عام 1957كان يوجد مدرستين في طرطوس الأولى مدرسة (المتنبي) في حي الساحة والثانية مدرسة (هنانو) في حي البرانية فكان أوائل المتعلمين من التلاميذ الفتيان في الحي وعددهم بحدود 8 يذهب إلى إحدى هاتين المدرستين، فإلى مدرسة البرانية كان يذهب (أحمد مصلح) و (محمد طاهر) وإلى مدرسة حي الساحة كان يذهب (محمد رحال) و (سليمان رحال) و(جودت الضابط) و (علي شنبور) و(علي عدرا) و (مصطفى الضابط) و (محمد شمسيني) ويعتبر هؤلاء جميعا من أوائل المتعلمين في حي الرمل من سكانه الأصليين والأوائل. وعندما كثر عدد طالبي العلم في الحي عام 1960 – 1961 تم إحداث مدرسة في الحي سميت مدرسة (المتنبي) في الزاوية الجنوبية الشرقية للتكنة وأما مدرسة (المتنبي) في حي الساحة صار اسمها لاحقا مدرسة "الحرس القومي" ومدرسة (هنانو) في حي البرانية صار اسمها مدرسة (العروبة).

وعن أوائل الشهادات العالية في حي الرمل يذكر الأستاذ (محمد رحال) أن أبناء الشيخ (علي ناصر) وهما (ناصر ناصر) و (جعفر ناصر) في منتصف الستينيات، كانا من أوائل حملة الشهادات العالية في الحي فالأول كان يحمل شهادة مهندس سفن من "ألمانيا" والثاني خريج كلية الطب في جامعة دمشق وسافر إلى لندن حيث توفي هناك. وكذلك (عيسى الخطيب) خريج الأدب العربي وكان يدرس مادة الأدب واللغة العربية في المدارس.

وفي الرياضة فقد نشط منذ أواخر الخمسينيات وخلال الستينيات فريق كرة قدم في الحي كان يضم عدد من الرياضيين الشباب في الحي منهم (علي حمصية) و(أحمد بيلون) اللاعب الأبرز في الفريق، و (سعد الأدمي) وكانت الأرض الخلاء جنوبي التكنة، ملجأ الرمل والدوائر العقارية سابقا، هي الملعب ومكان التدريب.

ومن أهم الأعمال التي كان يزاولها سكان حي الرمل قبل المرفأ حفر أساسات البيوت حيث كانت توجد ورش متخصصة في حفر الأساس على

عمق 3 متر وعرض 60 ســـم وردمها بالدفش وفوقه مجبول الباطون الاسمنتي. حيث كان البناء بدون أعمدة لأنه حجارته رملية.

كذلك كان البعض يعمل في البســاتين الموجودة أنذاك فيذكر الأســتاذ (محمد رحال) أن والده كان يعمل مزارع بالحصـــة في بعض البســاتين والأراضـــي كأرض (عبد العريان)، مكان حي (وادي الشــاطر) الحالي واشـتغل أيضـا في الأرض التابعة للعبد ديب في الرمل الأوسـط الحالي، وفي أرض (بدر المرقبي" حي الحمرات حاليا. وفي ناعورة (مصـــطفى زهير)، والبعض كان يعمل في التجارة وبيع الفروج والبعض الأخر على سيارات شاحنة .إلخ.

ونقل الحجر الرملي للبناء وفتح الأبار لاســتخراج الماء وفي البناء ولعل أشـــهر البنائين أنذاك كان اســـمه (محمد حلوة) بحيث أن كل من يحظى به لبناء بيته يعتبر أن بيته بني بيد ماهرة ومواصـفات قوية... إلخ. وكذلك في البساتين التي كانت موجودة.

**شهادة الأستاذ (كامل عليان)**

الأستاذ (كامل عليان) من مواليد 1939 مدرس اللغة العربية سابقا لسنوات عديدة في مدينة طرطوس وريفها.

هو وأهله من أقدم سكان حي الرمل الغربي كما أفادني في لقاء شخصي خاص معه في منزله بتاريخ 13 / 2 / 2023 حيث يقول إن السكن في حي الرمل الغربي بدأ وسطيا عام 1954 فعندما وصل أهله إلى الحي عام 1954 كان يوجد في الحي لأربعة بيوت فقط تسكنها 4 عائلات سبقتهم بقليل من الزمن وهي كما كان يتم التعريف بهم يومئذاك: "بيت العصفوري" و "بيت علي يوسف بشير" و "بيت الشيخ ياسين محمد" و "بيت محمود طالب صالح" ثم "بيت سليمان ادريس عليان". وكانت هذه البيوت وحيدة لا يوجد حولها من كل الاتجاهات أي بيت، فقط خلاء واسع.

أما حدود حي الرمل الغربي كانت ومتزال تبدأ من حديقة الطلائع الحالية جنوبا وحتى "المسيل" شمال ثانوية (غياث أحمد، سابقا، رجب صالح، حاليا) شمالا، حتى البحر غربا والشارع العريض الحالي شرقا. وكانت ملكية اراضي الحي قبل البناء عليها تعود ملكيتها لبيت ضيعة كما قال لي الأستاذ (كامل) الذي أخبرني مؤكدا أن والده اشترى أرض البيت من (جبرائيل ضيعة).

كان يوجد شرقي الحي "ناعورة" تمتد مساحتها من المدرسة الحالية شمالا حتى حديقة الطلائع جنوبا وكانت تعود ملكيتها الأخيرة للحج (محمود الريس) الذي كان اشتراها بدوره من (رياض عبد الرزاق)، وبالتالي فإن جنوب هذه الناعورة كان أراضي جرداء ونواعير وبساتين أشجار مثمرة وليمون حتى نهر الغمقة. وكانت ملكية هذه النواعير لجهة الغرب تعود ملكيتها ل (جبرائيل الضيعة) أما جنوبها لجهة الجنوب قرب نهر الغمقة فكانت تعود ملكية الأراضي لآخرين منهم "بيت منصور".

شرقي مدرسة "غياث أحمد – رجب صالح حاليا" فكانت الملكيات فيها تعود ل (صلاح داليال) حتى أنه كان يعطي بعض المقاسم "هبة" مجانا لبعض العاملين عنده. ومن مكان المدرسة حتى مكان الفندق الكبير غربا القريب من البحر كانت منطقة تلال رملية خلاء تماما من الحجر والشجر فظهرت عام 1965 إشاعة تقول إن كل من يضع يده على قطعة

أرض بإمكانه أن يتملكها ويبني عليها، فبدأ تســابق كل الناس في حي الرمل يومها للاستحواذ على قطعة أرض خاصة فصار كل شخص يرسم حدود مقسمه بالحجارة التي يضعها على حدود المقسم الذي اختاره بشكل عشوائي. والبناء عليها بدون أي تنظيم أو مساحات بين المساكن للمرور الأمر الذي ونتج عنه منازعات عديدة مما استدعى تدخل مخفر الشرطة والجهات المختصــة يومذاك وطلبت من الناس التوقف عن هذا الفعل العشوائي كون الأرض لها مالك معروف ويمكن لمن يرغب شراء مقسم أرض خاصـة به منه حسب الأصـول، وهذا ما تم فعلا بعد ذلك، فمالك الأرض كان شـخص من بيت "بربارة" ويقال له "اسـبيرو" وبدأت الناس تشـتري منه بسـعر المتر ليرتين سـوريتين بحيث كانت المقاسـم المباعة مفرزة حسب مخطط تنظيمي من البلدية.

ومنذ ذلك الوقت بدأ انتشـار السـكن في الحي إلا أنه بدأ ينتشـر بكثافة منذ عام 1960 وأغلب القادمين إلى الحي بداية كانوا من أصـــل ريفي فقير معدم من القرى المجاورة والقريبة من طرطوس وربما يكون العمل في إنشــاء مرفأ طرطوس عاملا جاذبا أكثر لهجرة أبناء الريف إلى طرطوس والسكن في حي الرمل.

أوائل المتعلمين في الحي

يقول الأســتاذ (كامل عليان) أن أوائل المتعلمين في الحي (يونس محمد) الذي حصــل على شــهادة البكالوريا عام 1959 و(محمد عليان) الذي حصــل على البكالوريا عام 1960 و (كامل عليان) الذي حصــل على شــهادة البكالوريا عام 1963. لكن عندما تم نقل مدرســة (المتنبي) الابتدائية من حي الســاحة في طرطوس القديمة إلى جنوب الثكنة قرب مكان يسـمى "كرم التين" ضـمن المجال الجغرافي والسـكني لحي الرمل عموما أوائل سـتينيات القرن العشـرين صــارت أعداد طالبي العلم تتزايد باستمرار خصوصا مع تزايد عدد الساكنين في حي الرمل من المهاجرين الريفيين الجدد.

عام 1968 بدأ تزفيت شوارع حي الرمل الغربي.

## شهادة الفنان (علي محمود الجاموس)

التقيت مع ابن حي الرمل الأوسط الفنان (علي محمود الجاموس) في منزله بتاريخ 23 / 3 / 2023 بحضور زوجته السيدة (لناء عبد الرحمن) وصديق عمره الشاعر (حيان حسن) فكان لقاء عذبا بجو الحوار غنيا بمعلوماته التي أفادني بها حيث حدثني برحابة مسترسلا من ذاكرته الغنية عن صور جميلة حول علاقته بالحي الذي ولد فيه عام 1954 وبداية تعرفه على محيطه القريب منذ كان في عمر الأربع سنوات، وعن دراسته في المرحلة الابتدائية في مدرسة "المتنبي"، ثم انتقل بالحديث الواسع والمفصل عن تجربته الشخصية في الموسيقى والمسرح.

يقول بداية أنه لم يكن يوجد أمام مدخل بيت أهله شارع مثل اليوم بل كان أمامه "ناعورة" كبيرة جدا يوجد فيها من جميع الأشجار المثمرة وغير مثمرة وكان يزرع فيها "قصب مص" ومختلف أنواع الخضار، فالحارة التي كنا نسكن فيها كانت بسيطة جدا، فقط كم بيت ودكانة وأول دكان وعيت له في الحي هو دكان "أبو حسن عابد" الذي يقع مقابل بيتنا بالضبط وكان عدد بيوت الحارة التي نسكن فيها قليل جدا كبيت "الشاتيلي" وبيت "بديع الدركي أبو سهيل" وبيت "أبو رعد" أصلهم من الخريبات و "بيت جبل" و "بيت شدود" و "بيت الرسلاني". ثم يتابع ويقول أن والدته كانت ترغب جدا بازدياد عدد سكان الحي والجيران حول البيت خصوصا أن مكان الحي كان موحشا بل ومخيفا في ذلك الوقت لذلك شجعت صاحب دكان "أبو حسن عابد" ببناء مسكن في الأرض التي يملكها مقابل بيتها بيت " محمود الجاموس - أبو علي"، وعندما احتج "أبو حسن عابد" بعدم وجود مكان يضع فيه أكياس الإسمنت اللازم للبناء عرضت عليه إعطاءه غرفة من بيتها بشكل مؤقت ليضع فيها كميات الإسمنت اللازمة للبناء فوافق على الفور وأحضر على الطنابر"(7) حوالي 100 كيس اسمنت من السوق في طرطوس ثم وضعها في الغرفة وبدأ ببناء غرفتين في البداية، ثم بدأ عمله في الحي

---

7 -: جمع "طنبر" وهو عبارة عن عربة خشبية مسطحة واسعة قليلا، بجوانب خشبية أو بدون جوانب، تقوم على دولابين خشبيين كبيرين نسبيا، تجرها دابة من الحمير أو البغال، وكانت وسيلة نقل البضائع والمواد الوحيدة المتاحة في ذلك الوقت قبل فتح الطرقات ودخول السيارات للحي.

كمعلم "خطيب" للأولاد لفترة قصـــيرة، ثم بعد ذلك فتح دكـان بقـاليـة وخضرة صغير في إحدى الغرفتين.

وفي أحد الأيام في أول الســتينيات بينما كنا نلعب في الحارة والغبار يتطاير حولنا بحكم التراب الرملي الذي يحيط بنا لفت نظرنا دخول الحارة آليات وورش عمال ترافقها وبدأت نســاء الحارة تتفرج باندهاش وتســـال؟ فقال العمال بأنهم ســيمهدون الطريق الترابي في الحي من أجل تزفيته وبدأ العمال الذي اســتمر بضـــعة أيام وســط اندهاش وإعجاب كل الأهالي وعندما تم تزفيته صــرنا نحن الصغار نمشي ونلعب على الشارع المعبد والنظيف حفاة القدمين بفرح وسرور.

ومن أجمل ذكرياتي وأنا صغير هو مشهد وصول رجل على الدراجة ويقف على زاوية الشارع المحاذي لبيتنا قرب عمود كهرباء يسند دراجته عليه ويقف على الدراجة وينادي بصـــوت عالٍ معلنا عن عرض خاص للسيدات لفيلم "..." في سينما "الأمير" في الساعة ... فترد عليه امرأة لم تسمع جيدا اسم الفيلم لتسأله عن الإسم فيجيبها عن اسم الفيلم بصـوت أعلى، ثم ينتقل إلى زاوية ثانية فثالثة حتى يعلن عن الفيلم في كل أنحاء البيوت المنتشرة في الحي.

وأول فرن في الحارة كـان يوجد في بيت جارنـا القريـب في الحـارة الســيد "أبو رعد" يســتثمره شــخص اســمه (محمد حبيب) وكان يخبز الرغيف المشـــروح ذي الرائحة الذكية والنكهة الطيبة جدا وكان ســـعر الكيلوغرام الواحد 35 قرش أي 7 فرنكات ســورية، ثم إن فائدة الفرن لم تكن بـإنتـاج الخبز فقط ففي أيام الشـــتـاء كـان يســـتفاد من تمز الفرن المحروق والحامي في التدفئة المنزلية فيتم يوميا بيع ما تبقى من تمز في الفرن بعد الانتهاء من إنتاجه اليومي لمن يرغب حيث كانت تعبئة المنقل بسعر فرنك واحد أو فرنكين حسب حجم المنقل. وقد تم إغلاق الفرن منذ أكثر من 20 عام بسبب شكوى الناس من دخنته الكثيفة وانتساخ الأسطح والغسيل المنشور ومداخل البيوت منها.

ومن أوائل السيارات في الحي كانت باص نقل ركاب للسيد (أحمد سعد – أبو علي) الذي كان ينقل فيها ركاب من وإلى طرابلس في لبنان.

وعن ذاكرته في المدرسة بعدما بلغ السابعة من عمره يقول أن دراسته الابتدائية كانت في مدرســـة "المتنبي"، مقر الجيش الشـــعبي حاليا، التي كانت تقع جنوب شــرق الثكنة بالقرب من "كرم التين" الذي كان يمتد من

حدود شارع الثورة الحالي شرقا إلى مكان "الملجأ" الحالي في حي الرمل بالقرب من حدود شـــارع هنانو حاليا نفس المكان الذي تحول لاحقا، قبل الملجأ وتكاثر حركة البناء عليه، إلى ملعب كرة قدم لشباب الحي. وكانت توجد "دبقاية" كبيرة في المنطقة كنا ونحن تلاميذ صـــغار نقطفها فيقوم صـاحبها واسمه "الأزرق" بضربنا حتى لو استدعى الأمر منه أن يدخل إلى داخل قاعة الصف ويضربنا. وكان المناخ الشتوي في العام الدراسي باردا جدا أكثر من أيامنا هذه حيث كنا كثيرا ما نرى صـباحا ونحن في طريقنا للمدرســة سـطح مياه الأمطار المتجمعة في الشـوارع متجمدة وقاسية حتى أنها لا تنكسر ولو ضربناها بالحجارة. ثم أن الدوام المدرسي للمرحلة الابتدائية في تلك الأيام كان دوامين في اليوم الواحد، قبل الظهر دوام كامل وبعد الظهر ساعتين وكان التعليم غير مختلط فمدرسة المتنبي للذكور أما الإناث، كما أفادتني زوجة الفنان (علي الجاموس) السيدة (ثناء عبدالرحمن) المولودة في نفس الحي أيضـــا، فكنّ يذهبن لمدرســة "قطر الندى" التي كانت تقع على امتداد نفس "شــارع هنانو" شـمالا في مدينة طرطوس. أما علاقة الطـالب مع الأسـتاذ كـانت علاقة احترام داخل المدرســة وخارجها وذلك كان نتيجة تأثير عاملين أولهما التربية داخل البيت القائمة على مبدأ احترام الكبير والمعلم، وثانيهما أن نظام المدرسـة وإدارتها تفرض ذلك من جهتها ولا تتهاون أبدا بالحط من قدر الإدارة والأساتذة كما أن الأساتذة كانوا يفرضون شخصيتهم بجدية في تدريسهم وفهمهم الصـحيح للمنهاج الذي يدرسـونه ومعرفة كيفية إيصـال الفكرة بسـلاسـة للطالب. كما أن المدارس كانت تقدم لتلاميذ المرحلة الابتدائية وجبة حليب صـباحية لكل تلميذ مرسـلة من قبل منظمة الصـحة العالمية التابعة للأمم المتحدة. فكان كل تلميذ يأخذ معه عبوة كأس خاص به من أجل شـرب الحليب صـباحا، لكن فجأة تنطلق في الحي بين الأهالي "شـائعة" تقول أن المقصـود بشرب الحليب هو سحب دماء من التلاميذ، مما اسـتدعى توافد الأهالي رجالا ونسـاء على مدرسـة المتنبي إلى أن اجتمع بهم المدير ونفى ما يشـاع من دعاية كاذبة وقال لهم أن شـرب الحليب هو فقط من أجل صحة وسلامة الأطفال والتلاميذ، وتتذكر السيدة (ثناء) بهذا الصدد، أنه في مدرسـة البنات كانت الإدارة تؤمن صـباح كل يوم لكل تلميذة في الصفين الأول والثاني ابتدائي فقط، سندويشـة جبن مع عبوة حليب نستلة صغيرة كفطور جماعي لكل التلميذات.

ثم يتابع الأســتاذ علي فيقول أنه كان يوجد على باب المدرســة بائع عربة سندويش فلافل فكان يقسم الرغيف المشروح الكبير إلى 4 أقسام وكل قسم مليء بالخضار والفلافل ومستلزماتهما يبيعه بسعر فرنك سوري واحد، أما الرغيف كاملا فيبيعه بفرنكين. ولم نكن نسمع لا في المدرسة ولا في الحارة بأية حديث طائفي أو كلمة تبخيس طائفية بحق أي كان من أي تلميذ أو من قبل الأهالي.

ثم تكلم الأستاذ (علي) وزوجته السيدة (ثناء) من ذاكرتهما عن التفاعل الاجتماعي الودي والمثمر بين أبناء أهالي حي الرمل وبين أبناء الريف من الطلاب الذين كانوا يقصدون مدارس طرطوس للدراسة مستأجرين غرف خاصــة لهم في حي الرمل وبين أبناء من أحياء مدينة طرطوس الأخرى حيث كان الجميع يتبادل الزيارات واللقاءات والحوارات في حي الرمل وخارجه من الاحياء الأخرى.

**شهادة الفنان (حسن عزيز محمد)**

وفي لقاء خاص مع الفنان حسن عزيز محمد من حي الرمل بتاريخ 7 / 6 / 2023 أفادني بأنه من مواليد 1968 طرطوس حي الرمل يسكن في منزل أرضي قديم في حي الرمل ورثه عن والديه قرب المسيل ويبعد حوالي 150 متر عن شاطئ البحر وهو فنان يشتغل بالنحت على الحجر والخشب كما يرسم لوحات لذلك فهو كما أفادني عضو اتحاد الفنانين التشكيليين في سورية وحول معرض أقامه لأعماله كان عام 2003.

ثم يستعرض من ذكرياته عن المنزل القديم الذي يسكنه ضمن حي الرمل فيقول أن الشارع العريض الحالي الذي يقع منزله على تماس مباشر معه من الجهة الغربية بالقرب من مديرية الزراعة القديمة كان منطقة رملية كثيفة بالكامل لدرجة كانت تغرز فيه دواليب بعض السيارات التي تضطر للمرور فيها، فالشارع الوحيد الذي كان معبد في حي الرمل فهو "شارع هنانو"، أما لجهة الشرق، شرقي شارع الثورة الحالي فكان عبارة عن بساتين ونواعير بالكامل لا يوجد فيها أبنية أبدا، لذلك كنت أسوق عدد من قطيع الجدايا والماعز التي كان يملكها أهلي من حاكورة بيتنا الحالي وأذهب بهم إلى تلك المنطقة شرقي شارع الثورة بحكم كونها مليئة بالأعشاب والنباتات البرية لتأكل فيها.

كان نربي أيضا في الحاكورة عدد من الدجاجات، كما كنا نزرع في الحاكورة مختلف أنواع الخضار خصوصا أنه كان يوجد فيها طرنبة مياه عمق ماسورتها في الأرض 6 أمتار فقط وكانت مياهها غزيرة ودائمة وكان يستخدم هذه الطرنبة كل أهالي الحارة خصوصا أولئك الذين لم يكن عندهم في بيوتهم طرنبة، كما أن أغلب من يكون عائدا من السباحة على الشاطئ يمر ليغسل جسده من ملوحة البحر فيها. نعم كانت أياما جميلة جدا بما يسودها من عفوية محبة وتعاون بين الأهالي.

ويقول أنه من الجهة الجنوبية لبيتنا، طبعا المقصود بهذه الجهة هو حي الرمل الغربي اليوم، كان يوجد فقط عدد قليل جدا من البيوت المتناثرة فكان بيتنا يعتبر من الأطراف البعيدة عن مركز المدينة يومذاك.

درس الابتدائية في مدرسة المتنبي التي مركزها حي الرمل أما الإعدادية والثانوية ففي ثانوية الشهيد (غياث أحمد)

كانت علاقتي بالحبر مثل كل أبناء الحي علاقة بسيطة وعفوية فكنا يوميا ننزل إلى البحر حفاة بلباس البحر نسبح ونعود إلى البيت.

وعن موهبته الفنية في مجال الفن التشكيلي يقول:

كما ذكرت سابقا فإن أول معرض لأعمالي كان عام 2003 لكن كنت أحس منذ قبل ذلك بسنين بمواهب دفينة في أعماقي لم تكن ظروفي تسمح لها بالظهور، ومع مرور الوقت صارت تتسلل هذه المواهب بالتدريج كي تظهر وتفرض نفسها عليّ بدون ترتيب واعي مسبق من قبلي فصرت أبدا رويدا رويدا من خلال مواهبي هذه التي لعب قربي من البحر وعلاقتي اليومية معه ومع أحجاره وصدفه البحرية دورا إيجابيا في صقل مواهبي الدفينة كما أشرت، يضاف إلى ذلك أني بدات حياتي العملية بالعمل في مجال الديكور الأمر الذي ساعدني على تكوين رؤيتي الخاصة في النحت. وبدأت تظهر أعمالي للعلن، فموهبتي هي التي اختارتني من الداخل وشكلتني في مجال الفن التشكيلي عموما لأنني أنا أيضا أحببتها وتجاوبت معها ومع إلحاحها هذا. مما يعني أني بدات وأنا في سن كبيرة نسبيا وليس منذ نعومة أظفاري كما يقول البعض عن أنفسهم.

لذلك فعندما وعيت جيدا لموهبتي وإلحاحها عليّ بدات أهتم بها أكثر فأعطيتها من وقتي ومدخراتي الكثير حتى وصلت لما أنا عليه الأن وها هي الأن ترد لي الجميل، فهي اليوم صارت مصدر رزقي الوحيد في الحياة، ومتفرغ لها بالكامل أعيش في ورشتي الفنية ومع أعمالي باستمرار، وصار عملي في الفن التشكيلي له جانبان" جانب أختار موضوعه وشكله الفني أنا بمفردي كفنان، وجانب أخر يقوم على ما يطلبه مني البعض لمنازلهم أو لمكاتبهم ومحلاتهم و و.. إلخ.. ويوجد عندي داخل البيت في بعض الغرف معرض خاص لأعمالي أحرص أن يراه أي ضيف أو زائر أو صديق، طبعا غير المنحوتات الكبيرة والمتوسطة الموجودة خارج البيت في الدار كما ترى. وبالرغم من أني أرسم لوحات وهي مطلوبة مني كثيرا إلا أن الأقرب إلى نفسي هو النحت وبالأخص النحت على الحجر لا سيما أن المنحوتة الحجرية تبقى أمدا طويلا في التاريخ وتقاوم مع الزمن الكثير من عوامل الطبيعة القاسية، كما تعطي مؤشرا كبيرا على تاريخ الحضارة أو البلد التي أبدعها الفنان فيه.

فهذا الدار والورشة والمعروضات الفنية فيها تعتبر مملكتي الخاصة أستقبل فيها كل من يرغب بزيارتها ومشاهدة أعمالي الفنية فيها وأخذ الصور التذكارية لها وبيلها. فالمكان بطبيعته جميل وما زال كما هو منذ سكن أهلي فيه والإضافة الوحيدة عليه هو ورشتي الفنية بكل عدتها وإنجازاتي فيها.

وحول البيت والأرض يقول الفنان (حسن عزيز محمد) ان الأرض والبيت سكنه أهله منذ عام 1956 وتوجد لديه ثبوتيات تؤكد ذلك، وقد ورثه عن والديه ويسكن فيه هو وأخته كما هو حاله منذ أسسه الوالدان مع حاكورة الأرض التي تقع مقابل البيت بشكل مفتوح على البحر، لكن ثمة إشكال حول حق التملك النهائي مع البلدية والعقارية حيث أن قطعة الأرض التي يقع عليها البيت كانت سابقا فيما مضى قبل أن يبني عليها الوالدان منزلهم بكثير، تقع ضمن مجال مقبرة مسيحية، لذلك تعتبر وقفا للكنيسة المارونية التي قامت بدورها عام 1989 ببيعها للبلدية التي تعتبر الأرض جزء من أملاك عامة يمكن أن يقوم فيها بناء سياحي بحكم قربها من البحر، رغم أنها ما زالت مشغولة بالسكن من قبل الفنان السيد (حسن) الذي ورثها عن والديه، لذلك ما زال الخوف قائما من أن تقوم الجهات المختصة بإلزامه بإخلاء المكان الذي ولد وعاش ونضجت موهبته لدرجة صار بوجوده فيه كفنان تشكيلي متعدد المواهب في الرسم والنحت والحفر وبما يحويه من أعمال فنية جاهزة أو قيد الإنجاز، مزارا لكل مهتم ومتذوق سواء من أبناء طرطوس أو من زوارها الدائمين.

# الخاتمة

وهكذا فحي الرمل منذ اكتملت ملامحه الجغرافية ديمغرافيا وعمرانيا بارتباط مجتمعي، متعدد الجوانب، إداريا وخدميا واقتصـــاديا وثقافيا، مع مدينة طرطوس في ســـبعينيات القرن العشــرين. ومن ثم لاحقا مع بداية الاكتظاظ الســـكاني وتزايد نشـــاط وحركة البناء فيه منذ أوائل الثمانينات وحتى اليوم، صـــار بحده شـرقا "شـارع الثورة" وغربا "كورنيش البحر" وجنوبا شـــارع الطلائع، وشـــمالا الشـــارع الذي يبدأ من مطبعة الزهراء وحتى مشفى الحكمة ومدرسة اللاييك على البحر.

ويخترقه طولانيا من الشـــمال إلى الجنوب شـــارعان رئيســـيان هما "شارع هنانو" و"الشارع العريض" وشارعين أخرين محدثين إلى الشرق منهما يبدأ أحدهما شـــمالا من الثكنة وينتهي جنوبا بشـــارع الطلائع الذي يفصـــل حي الرمل عن حي الغمقة، والأخر يبدا شـــمالا من حارة الملجأ وينتهي جنوبا، أيضـــا، في شـــارع الطلائع، مع تفرعات عديدة في مختلف الاتجاهات لهذه الشوارع الأربعة أطولهما شارعان يبدأن من الشرق حيث شـــارع الثورة بحيث يتقاطعان مع شـــارعي "هنانو" و"العريض" إلى أن ينتهيان على كورنيش البحر غربا، وبعضـــــها داخلي يربط الحارات فيما بينها..

لكن ثمـة ملاحظـة ذات دلالـة كبيرة على هـذا التطور الســـكـاني والعمراني في الحي، تتلخص بغياب النسق العمراني الهادئ المتناغم بين الأبنية مع بعضـــها البعض من جهة، ومع طبيعة الحي المزدوجة "رمال وبســـاتين" من جهة ثانية، بحيث يبدو أن البناء فيه تراكم بطريقة أقرب للعشوائية رغم أنه لم يخرج عن المخطط التنظيمي البلدي للبناء، عدا عن ازدحام شـــوارع الحي وتفريعاتها الضـــيقة بالمحلات التجارية الكبيرة والوسطى والصغيرة. يضاف إلى ذلك غياب ملفت لأي شكل من أشكال المساحات الخضراء الواسعة، حدائق أو وجانب تهوية كبيرة بين الأبنية، ضـمن النطاق الجغرافي للحي الذي كان منتصـفه الشـرقي بالأغلب، كما أسلفت في البداية، بســاتين ونواعير خضـراء لأشـجار مثمرة وخضـار، طبعا باســتثناء حديقة الطلائع التي تقع حدا فاصـــلا بين حي الرمل وحي الغمقة. فكان لكل ذلك مفاعيله الســلبية، كما أزعم، على الحي عموما لا

سيما لجهة مستوى ثقافة التعامل اليومي التي تحكم قاطنيه. فمساحة الحي، أي حي، مهما كانت واسعة تضيق بازدحام البناء والسكن عليها بدون لحظ المخطط التنظيمي للبناء في الحي وجود مساحات واسعة كحدائق وجانب تهوية بين الأبنية، وبالتالي فإن ضيق المكان وازدحامه ينتج عنه ضيق في نفوس وتفكير البشر القاطنين فيه، وهذا بدوره ينعكس بالعموم سلبا على تنشئة الأجيال الجديدة المتتالية في الحي وعلى تفكيرها المستقبلي عندما لا تفكر إلا بحاجاتها اليومية الآنية الملحة خلاصا من هذا الضيق وهذا بدوره يفسر لحد ما، على سبيل المثال، غياب أي منبر ثقافي - فني خاص بالحي، في أي مستوى ملحوظ. وعدم وجود دار عرض سينمائية ضمن نطاق الحي الجغرافي منذ تكّون وتبلور معالمه العمرانية والخدمية، مع أن الأجيال الشابة بدءا من جيل الستينيات وحتى أواخر القرن العشرين كانت هي أجيال الحضور السينمائي بامتياز في حي الرمل ومدينة طرطوس بل وفي سورية كلها، وكذلك الأمر بالنسبة للمسرح فبالرغم من ظهور مواهب شبابية واعدة ومتميزة منذ سبعينيات القرن العشرين في الأداء المسرحي من الجنسين في الحي كما أسلفت سابقا، فلم نلحظ وجود صالة مسرح خاص في الحي بحيث تم استقطاب كل هذه المواهب من قبل منظمة شبيبة الثورة الرسمية في نشاطاتها المتنوعة بداية، ومن قبل المسرح القومي في طرطوس لاحقا، وأود أن أذكر هنا معلومة أفادني بها الكاتب (علي صقر) من طرطوس أن ابن الرمل، الشاب الواعد مسرحيا في السبعينيات (علي غانم) وبحكم حماسته الكبيرة للمسرح والأداء المسرحي كان يقدم مسرح "خيال الظل" في منزله الكائن في حي الملجأ قبل أن يشتغل مع الفنانين علي و رضوان الجاموس لاحقا.

كل ذلك أدى لاحقا إلى غياب حالات نبوغ وتميز واضحة للأجيال الشابة الجديدة في الحي كما كان في حقبة الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين. فالفضاء الواسع في المكان الذي يسكن فيه البشر، ينتج عنه بالأغلب فضاءات واسعة في المخيلة والأذهان. وقد يكون هذا بالضبط ما تفتقده أجيال ما بعد السبعينيات في حي الرمل.

حتى في مجال تعدد الحرف والمهن التي يمارسها أبناء الحي، ضمن الحي وخارجه، ويتوارثونها جيلا عن جيل فإنه لم يظهر بعد أبناء الجيل

المؤسس في الحي نقلة نوعية تميز بها الحي في مستوى أفضل لأي حرفة من الحرف.

وختاما أعود وأؤكد على ما ذكرته في المقدمة حول أن التطور العمراني والمجتمعي في حي الرمل بدأ منذ

منتصف السبعينيات من القرن العشرين يأخذ منحى مختلفا عما كان قبل ذلك، عندما بدأ النمو السكاني والتكاثر العمراني في الحي يزدحم بشكل كبير على حساب كل التوزع الجغرافي الجميل والسابق حيث بدأ التآكل التدريجي والسريع لكل البساتين والنواعير والمساحات الواسعة التي كانت تشغل حيزا كبيرا من مساحة الحي كما تبين لنا من خلال الشهادات في القسم الثالث من الكتاب، لصالح تكاثر سكني أقرب للعشوائي منه للمنظم، بدون تصور عمراني أخر يوائم بين تكاثر الأبنية وترك المساحات بينها، وكان ذلك التطور العمراني يتم ليس كتلبية لحاجة داخلية في الحي بقدر ما كان بتأثير موجات النزوح والهجرة الكبيرة من لبنان، طرابلس، مع بدايات الحرب الأهلية اللبنانية 1975بداية، ومن ثم لاحقا من بعض المحافظات السورية الأخرى، أيضا لأسباب وغايات مشابهة أو أخرى متعددة، فصار تطور ونمو الحي يأخذ شكلا مختلفا بكل المستويات بحكم التفاعل بين كل موجات النزوح هذه من جهة وبينها وبين أهالي الحي الأوائل من جهة ثانية، ومع مدينة طرطوس ككل من جهة ثالثة، وما ينتج عنه من ثقافة و عادات أخلاقية ومجتمعية هجينة مختلفة كليا عما سبق بدأت تتوضح منذ منتصف ثمانينات القرن العشرين، بحيث أن أغلب من ولد وعاش وكوّن شخصيته في الحي قبل هذا التاريخ، من أبناء الأجيال الشابة في الستينيات والسبعينيات، وأنا واحد منهم، بدأ يشعر بالاغتراب المجتمعي الحقيقي في هذا الحي. ربما لأن البعض الكثير من موجات الهجرة والتفاعل هذه جاءت هروبا من مكان ضاقت فيه شروط الحياة الآمنة والصحيحة وهي تحمل معها نمط من العادات والتفكير والقيم مختلف تماما، إلى متسع أكثر رحابة يأوي لكن لا تتوفر فيه مقومات فرص العمل الكبير المنتج للجميع، فصار التنافس المزدحم في السكن وفي مجالات الأعمال الفردية التجارية الصغيرة والخدمية، ذات المردود السريع، ومن ثم في الوظائف الحكومية هو ما يقرر ويفرز ثقافة وقيم أبناء الحي.

طبعا لا أقول أن التطور المستمر لحي الرمل على جميع المستويات توقف عند هذا المفترق أو هذه النقلة من التطور، فالحياة حبلى دوما بما هو جديد وربما يتكون في رحمها اليوم بشائر ما هو أفضل بكثير مما كان سابقا في الحي.

لكني أردت فقط الإضاءة على مؤشرات استجدت منذ منتصف سبعينيات القرن العشرين، كمحاولة لفهم ما حدث ويحدث بعد ذلك من تحولات ضمن سياق ومراحل تطور الحياة الاجتماعية في حي الرمل.

-----

لكن يبقى أن حي الرمل اليوم منذ بداية السكن فيه أربعينيات القرن العشرين، كان وما يزال الخزان الديمغرافي الكبير الذي استقبل واستوعب، حتى منتصف ثمانينيات القرن العشرين، كل موجات النزوح والهجرة بتعدد مصادرها إلى مدينة طرطوس، سواء من الريف المجاور أو من المدن الأخرى والبعيدة وبالتالي صار امتدادا ديمغرافيا ومجتمعيا لمدينة طرطوس لدرجة صار يعطي المدينة ثقلها المديني الراجح بعد ما كانت في الاربعينيات أقرب لبلدة صغيرة تنوس بين البلدة والقرية[8]، حتى أن الكثير من أبناء الرعيل المؤسس لحي الرمل وأحفادهم، من فئات اجتماعية متعددة، موظفين ومهندسين ومعلمين وعمال وحرفيين ومقاولين، صاروا فيما بعد، منذ أوائل تسعينيات القرن العشرين من أوائل ساكني أحياء التوسع العمراني الجديد والكبير لمدينة طرطوس، التي نهضت بها جمعيات التعاون السكني العديدة الناشطة في طرطوس آنذاك. كما كانوا في تعداد الكادر العمالي المهني والوظيفي لكل التوسع الحاصل في دوائر ومؤسسات الدولة، وشركات القطاع العام الخدمي والانشائي التي أحدثت في المحافظة آنذاك.

---

8 -: كانت الإشارة إلى طرطوس منذ أوائل القرن العشرين تبدأ بكلمة "قصبة" فيقال "قصبة طرطوس" بمعنى بلدة صغيرة أو قرية كبيرة، وهي تسمية تركية على ما يبدو، وقد أشرت إلى ذلك ببعض التفصيل في كتابي السابق "الاندماج الاجتماعي والتشكل المدني الحديث في الساحل السوري حتى منتصف القرن العشرين – محافظة طرطوس نموذجا" المشار إليه سابقا ص 43 – 44- 45.

# المحتويات

صدر للمؤلف:

1- "مقاربات في ســـوســـيولوجيا الإخفاق - المجتمع العربي نموذجا" دار أرواد للطباعة والنشر بطرطوس - 2015.
2- "فكرة الزمان والوعي التاريخي" دار أرواد للطباعة والنشر بطرطوس 2019.
3- "الاندماج الاجتماعي والتشـكل المدني الحديث في الســاحل السوري حتى منتصف القرن العشرين - محافظة طرطوس نموذجا" دار أرواد للطباعة والنشر بطرطوس 2022.


دار أرواد للطباعة والنشر والتوزيع